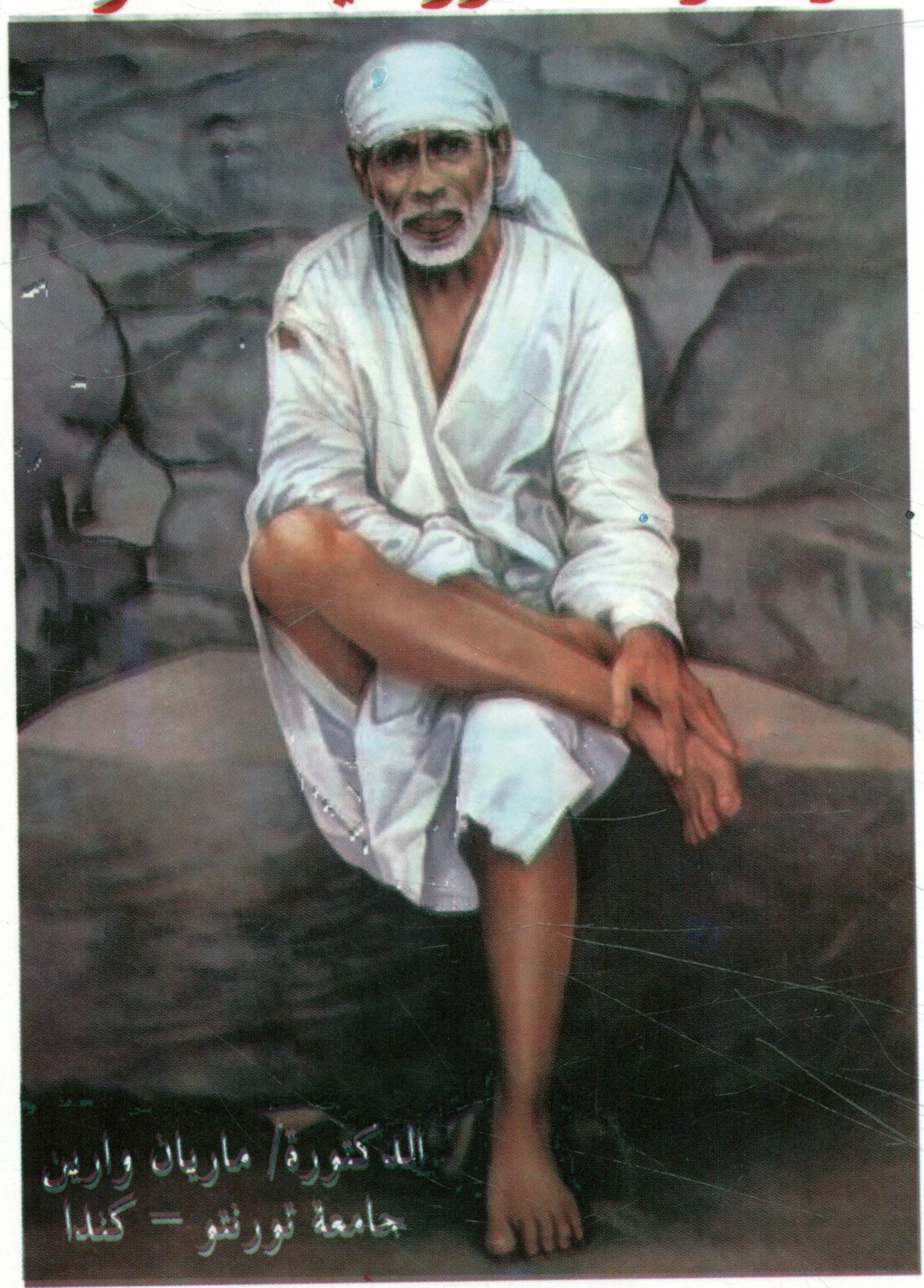
شردى ساى بابا (الهندى)

فى ضوء الصوفية
وقدراته الروحية الخارقة



ترجمـــــة

الدكتور/ عبد الفتاح محسن بدوى

عضو الجمعية المصرية للدراسات الروحية
الحائز على جائزة السلام الدولية



الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية
جلال حزى وشركاه

الناشر : منشأة المعارف ، جلال حزي وشركاه

44 شارع سعد زغلول – محطة الرمل – الإسكندرية – ت/ف 4853055/4873303 الإسكندرية

Email :monchaa@maktoob.com

اسم الكتاب : شردى ساى بابا

المؤلف : أ / عبد الفتاح محمد محسن

رقم الإيداع : 2011 /4141

الترقيم الدولى : 978-977-03-1871-6

التجهيزات الفنية :

كتابة كمبيوتر: المؤلف

طباعة : الاخوة

شردى ساى بابا (الهندى)

فى ضوء الصوفية
وقدراته الروحية الخارقة

ترجمـــــــة

الدكتور/ عبد الفتاح محسن بدوى
عضو الجمعية المصرية للدراسات الروحية
الحائز على جائزة السلام الدولية

٢٠١٠

الناشر/ منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزى وشركاه

«عامل الجميع بحب ...
لا تجادل ولا تثرثر ...
ولكن ركز على الله ...»

شردي ساي بابا

إهداء

أهـدى هذه الترجمـة إلى

رائدنا العظيم سعادة الأستاذ الدكتور/ سيد نصار

فقد أزرنى وأيدنى وشجعنى كى أترجم كتاب:

Shirdi Sai Baba in the Light of Sufism

ومؤلفة الكتاب هى:

Dr. Marianne Warren

University of Toronto

تحكى فيه تجربتها فى الهند لتقديم القطب الروحى والصوفى الكبير ساي بابا الذى قام بمعجزات روحية خارقة مازال الملايين من الهنود فى جميع أنحاء العالم يتحدثون عنها حتى وقتنا الحالى ..

أرجو أن تكون هذه الترجمة إضافة جديدة للقارئ العربى عن العلوم الروحية والكرامات والقدرات الميتافيزيقية الخارقة التى ظهرت عند كثير من أولياء الله الصالحين.

أ . د . عبد الفتاح محسن بدوى

المحتويات

الموضـــوع

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

تقديم دكتور واجل

مبادئ ساي بابا شردى تتلخص فى التسامح والسلام العالمى والأخوة مع كل الجنس البشرى. ولقد مرت على مريديه تجارب روحية ومادية بتأثير قواه الروحية الكبيرة.

ويعد عمل الدكتورة/ ماريان وارين – أول محاولة لتقديم استعراض تاريخى لتعاليم ساي بابا. قدمت الدكتورة ماريان، ساي بابا على أنه ينتمى (مثل الشيخ الصوفى محمد الباقى بالله) إلى جماعة ماهار شتريان الصوفية العظيمة. وقد أثبتت الدكتورة وارين إلمام ساي بابا بالتصوف الإسلامى، كما ترجمت مذكرات ساي بابا والتى فيها قدم دروساً فى الفكر الإسلامى إلى مريده عبد الله والذى يقع قبره بالقرب من ضريح ساي بابا.

وخلال حياة ساي فى مسجد فى شردى (يسمى دوار كامى) قام بمعجزات لعلاج الناس من آلامهم وأحزانهم كما علمهم أن تكون لديهم الثقة فى الله.

يقول الشاعر الصوفى الهندى الشيخ محمد الباقى بالله والذى عاش فى القرن السادس عشر وصفا للصوفى الكامل والذى ينطبق على ساي بابا كالآتى:

"إن الصوفى الحقيقى هو ذلك الذى تخلص من الغضب والشهوة ودائما يتذكر الله خلال أنفاسه شهيقاً وزفيراً. وهو يتجنب الحديث الذى لا طائل منه ويشعر بالسعادة فى الخلوة. هو غارق فى حب الله وفاقد لشعوره خلال تأمل فى الله".

الدكتور / ن. ك. واجل
مدير مركز دراسات جنوب آسيا
جامعة تورنتو - تورنتو - كندا

تقديم المترجم

الدكتور/ عبد الفتاح محسن بدوى

لم أكن أتخيل وأنا اقرأ صفحة عن ساي بابا فى كتاب للدكتور محمد صادق العدوى بعنوان: «العلاج الروحى بين العلم والتطبيق»، أن يصل بى الأمر إلى مطالعة عدة كتب عن ساي بابا باللغة الإنجليزية، ثم السفر إلى الهند عام ٢٠٠٢ لحضور مؤتمر علمى قررت بعدها زيارة جامع ساي بابا فى بلدة شردى، فسافرت بالقطار ووصلت إلى بلدة بالقرب منها وكان الوقت بعد منتصف الليل، نزلت من القطار والظلام مخيم على محطة القطار. وشاهدت أسرة تنزل معى، فركبت معهم سيارة أجرة للوصول إلى مدينة شردى وهناك وصلت فجرا، حيث دلفت إلى مسجد شردى وفوجئت بحشود كثيرة تقف فى طابور طويل حلزونى وأمام كل حشد شاشة تلفزيون يظهر عليها ضريح ساي بابا شردى. كانت الابتهالات عالية وعندما وصلت إلى موقع ساي بابا شردى وجدت الناس هندوساً ومسلمين تلقى بالزهور فوقه. وعندما خرجت من المسجد وفى الخارج وجدت مدينة شردى مليئة بعدة مكتبات تزخر بالعديد من الكتب عن شردى ساي بابا. فأعجبنى كتاب باللغة الإنجليزية عن سيرته لمؤلفته الدكتورة/ ماريان وارين الأستاذة بجامعة تورنتو فى كندا، اشتريت الكتاب فأعجبنى بعد قراءته. وبعد مرور ثمانية أعوام وتحديدا فى شهر أكتوبر ٢٠١٠ دعيت

لزيارة السيد البدوى فى طنطا لاقتراب مولده، وهناك استولت على رغبة عارمة لترجمة هذا الكتاب الذى بين أيديكم، لمؤلفته الدكتورة ماريان وارين التى ولدت فى إنجلترا، حيث حصلت على درجة البكالوريوس فى إدارة الأعمال من جامعة إكسيتر. ثم هاجرت إلى كندا وقامت بتدريس الفلسفة الهندية وعلم النفس والدين فى جامعة ماكماستر، ثم حصلت على درجة الدكتوراه فى أديان جنوب آسيا من جامعة تورنتو فى كندا.

لقد جال فى ذاكرتى سيرة سيدى أحمد البدوى من مدينة فاس بالمغرب والذى أمر فى النوم بالذهاب إلى طندتا (طنطا) فى مصر وكان عمره ٣٨ عاما. فلما دخلها ذهب فى الحال مسرعا إلى دار ابن شحيط، فصعد إلى غرفته ومكث بذلك السطح لإطلاق الفكر فى التأمل فى ملكوت السموات والأرض، ولذا لقب بالسطوحى. وكان سيدى أحمد البدوى يمكث الأربعين يوما لا يأكل ولا ينام. وفى أكثر أوقاته يكون قائما شاخصاً ببصره إلى السماء، واستمر سيدى أحمد على ذلك السطح لا يفارقه، ما يقرب من أربعين سنة (وهى تقارب المدة التى قضاها ساي بابا فى المسجد أربعين سنة وكلاهما سيدى أحمد البدوى وساى بابا لم يتزوجا أبداً)، كانت لسيدى أحمد البدوى كرامات كثيرة من أشهرها قصة المرأة التى أسر ولدها ببلاد الإفرنج فلاذت به فأحضره لها فى أسرع وقت وفك قيوده بقدرة الله تعالى. ومنها أن مر عليه رجل يحمل قربة لبن فأومأ إليها بأصبعه فانسكب اللبن فخرجت منها حية منفوخة والرجل لا يعلم بها.

وعن حقيقة ذكر الله قال سيدى أحمد البدوى أن يكون بالقلب ولا يكون باللسان فقط فإن الذكر باللسان دون القلب شقشقة. وقال لمريده عبد العال .. يا عبد العال .. يا عبد العال اذكر الله بقلب حاضر وإياك والغفلة عن الله تعالى فإنها تورث القسوة فى القلب.

طريق الحب الآلهى عند الأولياء:

الحب الآلهى هو طريق صوفى وليس ديناً أو شيعة أو نحلة، بل هو ترقية روحية خالية من الطقوس والشعائر التى تمارسها سائر الأديان والمذاهب الدينية، وغاية هذا الحب معرفة الروح والعروج بها إلى مصدرها الأول، وفناء الأنا فى الله عز وجل عن طريق ذكر الله والتأمل الروحى وخدمة الغير الذى يمارسه المريد.

لقد ظهر معلمون روحيون فى هذا العالم وفى كل عصر وكانت طرقهم واحدة وهى حب الله ورجوع روح الإنسان إلى ربها راضية مرضية .. وهذه الحكمة الآلهية القديمة هى اللؤلؤة النبيلة التى جاء من أجلها كافة الرسل والأنبياء وجوهرها ذكر الله فى الخلوة وفى العمل والذى يحول الظلام إلى نور والجهل إلى معرفة.

وليست الغاية من تعاليم المعلم الروحى خلق أديان أو عقائد أو مذاهب جديدة لأن العقائد والشعائر تولد انفعالات عاطفية تؤدى إلى عداوات وصراعات بين معتنقيها بينما جوهر تعاليم المعلم الروحى هو الحب والتآلف مع البشر.

فى أثناء حياة الرسل والأنبياء يصغى الناس إلى كلماتهم ولكنهم لا يهتمون بها .. وحال رحيلهم من هذا العالم يبدأ الناس فى ممارسة الطقوس والشعائر الدينية ناسين الهدف الحقيقى

لرسالاتهم ويعيدون تفسيرها ويحولونها إلى شعائر ومذاهب تزرع بذور الشقاق والفرقة ويبررونها باسم الشرف القومى والتقاليد الدينية. جائرين على «جوهر» الدين فيسيئون تفسيره ويحددونه ويجمدونه. بحيث يصبح الدين فى النهاية مجرد شعائر وشيع مبنية على تراجم متحيزة أو غير صائبة. وإذا بحثنا عن الجوهر الروحى للديانات وتأملنا فيها بدقة وبدون تحيز لوجدنا أن رسالة كافة الرسل والأنبياء هى واحدة ومصدرها الله.

لا شىء فى هذا العالم خلق إلا وله خالق واحد، وهذا الخالق هو الله الصمد، آله جميع البشر الأوحد الذى نذكره بالحب والتقوى والخشوع بأسمائه الحسنى. وهو الهدف الأسمى لسالك الطريق وتشوقه الروحى. إن روحنا هى نفحة من روح الله ونحن قطرة من ذلك البحر الآلهى وشعورنا قبس من الشعور الكونى.

يقول ابن عربى: «روحه روحى وروحى روحه إن شاء شئت» (الفتوحات المكية، ج٢، صد ٦٠٤).

ويقول أبو حامد الغزالى: «الطريق تقديم المجاهدة بمحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها والإقبال بكل الهمة على الله تعالى. ومتى حصل ذلك فاضت عليه الرحمة، وانكشف له سر الملكوت، وظهرت له الحقائق فليس عليه إلا الاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار النية مع الإرادة الصادقة، والتعطش التام والترصد بالانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة».

إن الأنبياء والأولياء انكشفت لهم الأمور، وسعدت نفوسهم بنيل كمالها، الممكن لها، لا بالتعليم، بل بالزهد فى الدنيا، والأعراض،

والتبرؤ من علائقها، والإقبال بكل الهمة على الله تعالى فمن كان لله، كان الله له، حتى أنه فى الوقت الذى صدقت فى رغبتى لسلوك هذا الطريق، شاورت متبوعاً مقدماً، من الصوفية على تلاوة القرآن فمنعنى وقال:

السبيل أن تقطع علائقك من الدنيا بالكلية، بحيث لا يلتفت قلبك إلى: أهل، وولد، ومال، ووطن، وعلم، وولاية. بل تصير إلى حالة يستوى عندك وجودها وعدمها. ثم تخلو بنفسك فى زاوية تقتصر من العبادة على الفرائض والرواتب، وتجلس فارغ القلب، مجموع الهمة، مقبلاً بذكرك على الله تعالى، وذلك فى أول الأمر، بل تواظب باللسان على ذكر الله تعالى فلا تزال تقول: الله .. الله، مع حضور القلب وإدراكه. إلى أن تنتهى إلى حال، لو تركت تحريك اللسان لرأيت كأن الكلمة جارية على لسانك لكثرة اعتيادها.

ثم تصير مواظباً عليه، إلى أن ينمحى أثر اللسان، فتصادف نفسك وقلبك، مواظبين على هذا الذكر، من حركة اللسان. ثم تواظب إلى أن لا يبقى فى قلبك إلا معنى اللفظ، ولا يخطر ببالك حروف اللفظ وهيئات الكلمة، بل يبقى المعنى المجرد، حاضراً فى قلبك، على اللزوم والدوام.

ولك اختيار إلى هذا الحد فقط، ولا اختيار بعده لك إلا فى الاستدامة لدفع الوساوس الصارمة. ثم ينقطع اختيارك، فلا يبقى لك إلا الانتظار لما يظهر من فتوح ظهر مثله للأولياء، وهو بعض ما يظهر للأنبياء. وقد يكون أمراً كالبرق الخاطف لا يثبت، ثم يعود وقد يتأخر، فإن عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفاً، وإن ثبت

امتد ثباته، وقد لا يطول، وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق، وقد لا يقتصر على فن واحد، ومنازل أولياء الله فيه لا يحصر التفاوت خلقهم وأخلاقهم» (ميزان العمل، ص ٢٢٢-٢٢٣).

ويقول أبو حامد الغزالى أيضاً: «ولا تظن أن هذه الطاقة تنفتح بالنوم والموت فقط، بل تنفتح باليقظة لمن أخلص الجهاد والرياضة، وتخلص من يد الشهوة والغضب والأخلاق القبيحة والأعمال الرديئة، فإذا جلس فى مكان خال، وعطل طريق الحواس، وفتح عين الباطن وسمعه، وجعل القلب فى مناسبة عالم الملكوت، وقال دائماً: «الله – الله – الله» بقلبه، دون لسانه، إلى أن يصير لا خير معه من نفسه، ولا من العالم، ويبقى لا يرى شيئاً إلا الله سبحانه وتعالى – انفتحت تلك الطاقة وأبصر فى اليقظة الذى يبصره فى النوم، فتظهر له أرواح الملائكة، والأنبياء، والصور الحسنة الجميلة، وانكشف له ملكوت السماوات والأرض، ورأى ما لا يمكن شرحه ولا وصفه».

كما قال النبى ﷺ: ﴿زويت لى الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها﴾[1]. وقال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[2]. لأن علوم الأنبياء عليهم السلام كلها كانت من هذا الطريق، لا عن طريق الحواس، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[3]. ومعناه: الانقطاع عن كل شىء وتطهير القلب من كل شى والابتهال إليه سبحانه وتعالى بالكلية. وهو طريق الصوفية فى هذا الزمان. وأما طريق التعليم،

---

(١) مسلم، من كتاب الفتن، حديث رقم ١٩.

(٢) سورة الأنعام – الآية ٧٥.

(٣) سورة المزمل – الآية ٨.

فهو طريق العلماء، وهذه الدرجة الكبيرة مختصرة من طريق النبوة، وكذلك علم الأولياء، لأنه وقع فى قلوبهم بلا واسطة من حضرة الحق.

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[1]. وهذه الطريقة لا تفهم إلا بالتجربة، وإن لم تحصل بالذوق لم تحصل بالتعليم والواجب التصديق بها حتى لا تحرم شعاع سعادتهم، وهو من عجائب القلب. ومن لم يبصر لم يصدق، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[3].

يشرح لنا المعلمون الروحيون أننا طالما نحن متعودون على الذكر والتأمل فيجب أن نستغل هذه العادة الطبيعية إذ إن التأمل فى الأشياء الزائلة والقصيرة الحياة والتعلق بها يقودنا إلى البؤس والشقاء والبكاء وإذا ركزنا تأملنا بالله الحى القيوم الذى روحنا هى ذرة منه والذى نتشوق إلى الفناء فيه فإننا سنبلغه، وفى هذا يقول ابن عربى: «فقلت ياهوا لهوا ما أصنع فى الهوا قال غرق نفسك فيه فغرقت فاسترحت فأنا فيه لا أبرح مما أنا فى الوجود غيرى». إن الله خالد سرمدى، ولم يولد وهو حى لا يموت وأولئك الذين يذكرونه ويتفكرون فيه دائما يتحررون من الشقاء والحزن.

إن القيم الروحية لاسم الله وذكره تأخذ بأيدينا إلى عالم ما وراء المادة والعقل ولا يمكن السمو إلى هذا العالم إلا بالاستعانة بقدرة

(١) سورة الكهف – من الآية ٦٥
(٢) سورة يونس – من الاية ٣٩
(٣) سورة الأحقاف – من الايه ١٠

مصدرها وراء نطاق عالم المادة والعقل، واسم الله يأتى من الحق، وقد اختبر المعلمون الروحيون والأولياء رياضات روحية فاكتشفوا أنه لا شئ يضاهى ذكر اسم الله. لذلك يحثنا المعلمون الروحيون على الالتزام بذكر اسم الله وكلما زاد حماسنا للوصول لهذه الثروة الربانية كلما زاد معيار الفيض الآلهى وحجمه.

المعلم الصوفى «كبير» يقول:

"عندما تكتشف جوهرة اسم الله

صنها واحمها بأحكام فى صرتك

بكل أسف أقول أن لا أحد يدرك قيمتها

وليس ثمة أحد يرغب فى شرائها

العالم يجهل عظم قدرها وجلالها".

كافة الناس الدنيويين هم وراء جمع الثروة واقتناء الممتلكات والتطلع إلى الشهرة والمجد والمقام الرفيع فلا أحد متهيئ لدفع ثمن جوهرة اسم الله والتسليم التام الكامل لإرادته، يقول المعلم الروحى «كبير»: لقد جربت أحجار الفلاسفة (وهى التى كان أصحاب الكيمياء القديمة يعتقدون أنها قادرة على تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب أو فضة وعلى إطالة الحياة).

فلم أعثر على حجر تفوق روعته روعة اسم الله إذ أن ذرة بالغة فى الصغر منه إذا شربها أحد فإنه بكامل وجوده وجوهره يتحول إلى ذهب».

إننا قد عرفنا واختبرنا كل ضروب الكيمياء التى كانت غايتها القدرة على تحويل شىء مبتذل إلى شىء نفيس ولكن لا أحد منها يضاهى كيمياء اسم الله إذ إن من يشرب جزءاً ضئيلاً جداً منه يحول كامل كينونته إلى ذهب.

وكما أن الباشق (طير المطر) يحن إلى قطرات من المطر وهو دائم الصراخ فى طلبها، هكذا ينبغى على المريد أن يفعل فى تشوقه إلى الله، وتشوق المريد إلى الله وحنينه إليه هو كتلهف الغريق إلى التنفس، والمتعبد بذكر الله بنفس الأسلوب الذى يذكر المحب حبيبته فهى ليست بعيدة عن فكره ولو للحظة واحدة كما يركز الغزال انتباهه لسماع موسيقى الناى وتركيزه هذا شديد إلى درجة أنه لا يصرف فكره عنه حتى إذا كان شغفه هذا بالموسيقى يفضى به إلى القبض عليه، وينمى المتعبد فيه الحب إلى الله والشوق إليه كمحبة الفراشة وشوقها إلى لهب النار، وحبه إلى الله كحب السمكة إلى الماء لأنها لا تستطيع أن تتحمل عذاب الانفصال عن الماء ولو للحظة واحدة وإخراجها من الماء يقضى على حياتها، فمثل هذا الشوق هو الحب الآلهى الصادق.

سئلت رابعة العدوية البصرية مرة هل تبغضين الشيطان فأجابت: إن حبها لله لم يترك مجالا لبغض الشيطان وقد قالت مرة إن حبها لله قد امتلك وجودها فلم يخلف موضعاً لبغض أحد أو حب أحد غيره وقد روى عنها أنها قالت فى مناسبة أخرى: «ما عبدت الله طمعاً فى جنته ولا خوفاً من ناره ولكنى عبدته حباً له وشوقاً إليه».

ليس للروح مكان تلتجئ إليه سوى الله، ويجب أن نأخذ بنظر الاعتبار أن عقلنا يخلق شهواتنا وملذاتنا ومع ذلك نتوقع من الله أن يحقق هذه الشهوات، نحن لا نحاول أبدا أن نجبر عقلنا بأن عليه أن يتصرف حسب إرادة الله وأن يكيف نفسه فى نطاق حكمه وإرادته بل على العكس نحن نسأل الله أن يحقق رغبات عقلنا، وقد جاء فى القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[1]. وكان النبى ﷺ يقول إذا أوى إلى فراشه: ﴿اللهم باسمك أحيا وباسمك أموت﴾.

المعلمون الروحيون والأولياء هم الوحيدون الذين يعرفون الطريق إلى الله لأنهم يحيون فى إرادته ويكرسون حياتهم له. والتسليم التام بإرادة الله يجلب الأمن والطمأنينة والنعيم، وفى النهاية يمد الله إلينا العون. لذلك يتحتم علينا أن نمارس ذكر اسم الله وتسليم أنفسنا تسليماً كاملاً لإرادته، وقد جاء فى القرآن الكريم: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

مترجم الكتاب

أ . د . عبد الفتاح محسن بدوى

القاهرة فى : ٢١/١٠/٢٠١٠

(١) سورة الأنفال – من الآية ٢.

(٢) سورة البقرة – الآية ١١٢.

المقدمة لمؤلفة الكتاب

الدكتورة/ ماريان وارين

لقد قيل إن ساي بابا شردى هو مثال للصوفى المسلم الكامل الذى وصل إلى مرحلة الإشراق الروحى والتحقق من الله. وقد رأى البعض أن ساي بابا يعتبر رائداً للنهضة الروحية فى العصر الحديث. والذى بزغ نجمه فى القرن التاسع عشر كفقير مسلم هندى، وطبقاً لكثير من مريديه، يعتبر ساي بابا فعلاً معلماً روحياً كاملاً له مهمة روحية ربانية.

لقد كان لساى بابا كل المظاهر التى توحى بأنه مسلم غير تقليدى، وعند وفاته عام ١٩١٨م، كان عدد مريديه حفنة قليلة، ولكن فى عصرنا الحالى وصل عدد مريديه إلى الملايين .. وقد بدأ ساي بابا من صانع معجزات محلى لإقليم ماهاراشترى فى الهند إلى أن وصلت شهرته إلى بتسبرج فى ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية وكذلك إلى تورنتو فى كندا.

ويستمر هذا اللغز المحير حتى وقتنا هذا طبقاً لإعلان ساي بابا بأنه حتى وإن مات، فإنه سيظل موجودا فى شكل غير مرئى لكى يساعد مريديه. وبالفعل توجد حكايات كثيرة موثقة بواسطة المريدين فى وقتنا الحالى تثبت صحة إعلان ساي بابا.

وقد اجتذب صيت ساي بابا العالم الأكاديمى، وهذا الكتاب يكشف النقاب الذى يحيط بحياة ساي بابا وليضعه فى مقام روحى متقدم فى إقليم غرب الهند الذى يتميز بثرائه بالأولياء الصوفيين.

وفى هذا الكتاب سيتم بحث شخصية ساي بابا فى ضوء الصوفية والذى سيزيدنا إيضاحاً لفهمه الاكتشاف الحديث لمذكرات كتبها باللغة الأردية «عبد الله» وهو مريد صوفى لساى بابا وقد ساعدت لإثبات أن ساي بابا هو صوفى مسلم.

دائماً كان يشار إلى ساي بابا بواسطة مؤرخيه بالفقير الصوفى المسلم أو بالولى المسلم الذى كان يسلك طريقاً روحياً نحو معرفة الله بمعنى أن قلبه حى بذكر الله الدائم.

وفى هذا الكتاب سوف نقدم إيضاحاً أكثر عن حياة ساي بابا فى ضوء الصوفية الهندية خاصة الصوفية الديكانية فى إقليم مهاراشترى.

هناك كم كبير من المعلومات عن حياة ساي بابا شردى الفترة ١٩١٠-١٩١٨م، ولكن هناك القليل عن حياته الأولى، وأكبر مصدر للمعلومات عن حياته وتعاليمه الموثقة موجود فى سيرته الذاتية المعروفة باسم «سرى ساي ساكاريتا» كتبها باللغة الماراثية هيمادبانت، الذى أراد أن يسجل معجزات ساي بابا يوماً بيوم، ويتعهد الوعى بالبعد الروحى لهذا الولى. وقد تم إنجاز الكتاب للنشر عام ١٩٣٩م، بعد أحد عشر عاماً من وفاة هذا الصوفى الكبير.

وقد كتب عبد الغنى منصف مقالاً باللغة الإنجليزية بعنوان «حضرت ساي بابا شردى» (١٩٣٨-١٩٣٩) واعتبر ساي بابا «معلماً كاملاً»، وهناك كتاب بعنوان «ساى بابا - المعلم الكامل» كتبه إيرانى ويُطلق على ساي بابا لقب «القطب».

وطبقا لرواية «خير» يعتبر ساي بابا رجلا صوفيا تلقى العهد من معلم صوفى، وطبقا لرواية أخرى لشاه ميان وهو صوفى له احترامه،أن ساي بابا يعتبر فى مصاف المسلم الذى يمتلك المعرفة الصوفية ويدل على ذلك «عبد الله» خادم المسجد الذى شهد بأن ساي بابا كان يستطيع تلاوة سور القرآن.

وفى عام ١٩٩٣ نُشر حديث «لأنطونيو ديجوبولوس» فى رسالته للدكتوراه (١٩٨٧م)، بعنوان «حياة وتعاليم ساي بابا شردى»، وفيه يثبت النزعة الإسلامية الصوفية عند ساي بابا.

ومؤلفة هذا الكتاب تمكنت من الحصول على وثيقة تاريخية عن تعاليم وإرشادات ساي بابا المبنية على القرآن، وهذه الوثيقة يشار إليها باسم «مذكرات ساي بابا» التى كان يدونها تلميذه «عبد الله»، وهذه المذكرات تثبت إلمام ساي بابا بالإسلام والصوفية.

الدكتورة/ ماريان وارين

جامعة تورنتو - كندا

إبريل ١٩٩٩

الفصل الأول

نظرة شاملة لحياة ساي بابا

احتاجت موجة من التبجيل الكبير لساى بابا شردى ليس فقط محلياً فى إقليم مهاشترا ولكن سمعته الروحية أخذت تنتشر فى جميع إنحاء الهند وحالياً فى جميع أنحاء العالم.

ومنذ منتصف عام ١٩٧٠ اجتذب ساي بابا ليس فقط للمريدين ولكن المؤلفين والباحثين بل ظهرت له أفلام سينمائية وأصبحت قرية شردى مكان جذب شائع لاجتذاب الكثيرين. فى عام ١٩٥٠ كان عدد المريدين ١٠٠ - ١٥٠ يقصدون شردى فى مولد سيدى ساي بابا، والآن أصبحت مدينة شردى مدينة تزدحم بالزوار ويصل عددهم إلى ما يقرب من ٢٥٠٠٠ على مدار العام، وبها ما يقرب من ثلاثين فندقاً.

وتجد صورة ساي بابا الشائعة هناك وهو جالس ورجله اليمنى فوق رجله اليسرى وكانت تعتبر تميمة يتبارك بها الناس فى جميع أنحاء إقليم مهاشترا وتجدها فى التكسيات وفى داخل المحلات والكثير من المريدين ينشدون بركات ساي بابا.

ويرجع إحياء الاهتمام بساى بابا فى السنوات الأخيرة وتحول مدينة شردى من قرية نائمة فى بداية القرن العشرين إلى مركز جذب كبير اليوم يحج إليها حشود كبيرة لعدة أسباب:

أولاً : الخبرات العديدة من المريدين الذين ينشدون بركات ساي بابا لتحقيق رغبات دنيويه، وفيها الشفاء من المرض، والحصول على عمل أو المال وحتى بالخلفة بالنسبة للأزواج الذين لا ينجبون، علاوة على ظهور تحولات روحية فى قلب كل من يلجأ إلى ساي بابا.

ثانياً: هناك انتشار للعديد من الكتب والمجلات والأفلام والفيديو وكاسيتات الابتهالات الدينية والتى تصل إلى جموع غفيرة من الناس وترفع الوعى بساى بابا. وفى منتصف عام ١٩٧٠م، ظهر فيلم ماراثى عن حياة ساي بابا، كان بطله الممثل الهندى المشهور كومار. وفى عام ١٩٨٨م، ظهرت فى محطة الهند القومية أفلام عن ساي بابا زادت من شعبيته فى جميع أنحاء الهند.

يشتهر ساي بابا شردى فى إقليم ماهاشترا بأنه صانع المعجزات وقد كان فى خلال العشرين عاماً الأخيرة من حياته تتوافد إليه أعداد كبيرة لرؤيته والتبرك به. وفى بعض المناسبات كان ساي بابا يُعد بنفسه كميات كبيرة من الطعام تشمل لحم الماعز يقوم بتوزيعها على الحاضرين، كان سمعة ساي بابا ترجع إلى جلائه البصرى والقيام بمعجزات خارقة مثل الشفاء من المرض، وإعادة البصر للمكفوفين، وتأثيره على الأحداث عن بعد، وظهوره فى الأحلام، وتجسيده لرماد للتبارك به علاوة على جلبه للماء والطعام وظهوره فى مكانين فى وقت واحد. وكان معروفا فى ذلك الوقت بسيطرته على العناصر ومنع الزوابع وتحكمه فى النار والماء. كان

ساي بابا يعمل على تحقيق رغبات الناس الدنيوية والذين كانوا يعودون إليه طالبين الإرشاد الذى يحقق لهم التقدم الروحى.

كان ساي بابا يحب الأغانى الصوفية على إيقاعات الطبلة فى الصباح، وخلال حياته كان يظهر كصوفى فقير يتسول طعامه وزاهد فى امتلاك أى شئ، لم يتزوج ساي بابا وعاش طوال حياته أعزب، غير أن مريده المسلم وخادمه (عبد الله) تزوج وكانت له أسرة ومازال أحفاده يعيشون فى شردى حتى الآن.

كل من الهندوس والمسلمين كانوا يكنون الاحترام لساى بابا خلال فترة حياته فى شردى، وكان دائماً يقول إنه مجرد عبد لله.

لم يمارس ساي بابا أى تمارين لليوجا أو ضبط التنفس ولم يهمس فى أذن مريديه بتميمة ولكن قيل إنه طلب من مريده المسلم أنور خان أن يردد سورة الفاتحة ١٠١ مرة فى منتصف الليل.

كان ساي بابا فى نظر مريديه درويشا من الأولياء الصالحين مسلما نفسه تماماً لإرادة الله، وأى درويش يعتبر سايحا ومن هنا أطلق اسم «ساى» على العارف بالله شردى وأضيفت إلى الاسم «بابا» كلقب مبجل فى الهند.

وقد قيل إن ساي بابا تربى فى كنف صوفى فقير فى قرية بارثى فى إقليم أورانجاباد، وإن مولده غالبا كان فى عام ١٨٣٨، وكان لأسرته تأثير كبير عليه حيث كانت أفكاره تخلو من التعلقات الدنيوية مع فكر واحد فقط فى اتجاه الله.

أقام ساي بابا فى بلدة شردى داخل مسجد قديم، حيث كان يمارس العلاج بالأعشاب ثم العلاج بالرماد الذى كان يتخلف من نار كانت تبقى مشتعلة طوال فترة حياته، وكان ساي بابا يردد «الله» دائماً وأحياناً يذكر اسم «الله مالك حى».

فى عام ١٨٨٦ عندما بلغ ساي بابا سن الخمسين من عمره وبعد ممارسته ذكر الله الدائم مرت عليه تجربة الذوبان المباشر بالله. حيث أخبر أحد مريديه أنه ذاهب إلى الله وطلب منه أن يحرس جسده لمدة ثلاثة أيام، وفى هذه الفترة كان يبدو على ساي بابا أنه مات وظل مريده يحرس جسده طبقاً لتعليمات ساي بابا له وبعد ثلاثة أيام استعاد ساي بابا وعيه، وبعد هذه التجربة ظهرت عليه قوى روحية ميتافيزيقية خارقة. وبعد إشراقه الروحى، تجلت لديه قدرات النظر البعيد، ويطلق عليها بعض الصوفيين الفراسة، علاوة على قدرته على الظهور فى أحلام مريديه أو التواجد فى أماكن بعيدة عن جسده. وكل ذلك سجله مريدو ساي بابا. كما تجلت على ساي بابا القدرة على علاج الأمراض وحماية المريدين حتى على مسافات بعيدة عنه.

حتى سن الثامنة والأربعين كان ساي بابا يبدو فقيرا زاهداً وكان يطلق عليه المجذوب. وبعد عام ١٨٨٦، بعد تجربة موته وعودته للحياة ومروره بالتجربة الصوفية مع الاتحاد بالله تحول إلى أحد أولياء الله. وفى الفترة الأخيرة ١٨٨٦ – ١٩١٨ كان معلماً مرشداً لمريديه.

لم يترك ساي بابا تعليمات مباشرة أو كتابات فيما عدا بعض مذكراته لعدد قليل من مريديه تم جمعها فيما بعد. كانت طريقته التى تحمل رسالته تظهر فى عبارات قصيرة عميقة المعنى والمغزى.

الفصل الثاني

ساي بابا المسلم الفقير

خلال إقامة ساي بابا فى المسجد لمدة أربعين عاما أتى بآلاف الكرامات والمعجزات التى لا يمكن حصرها .. ومن أعظمها قدرته على التحويل الروحى لقلوب المريدين بمجرد النظر أو اللمس. ويحكى أنه فى عام ١٩١٥ كان أحد مريديه ويدعى عبد القادر مقيما فى التكية .. وتصادف مرور ساي بابا هناك .. فتوسل إليه عبد القادر أن يمنحه مقام «الفقر» فى الصوفية .. وأن يكون ولياً .. وهنا ألقى ساي بابا شردى بكفه المطبق على عبد القادر وكأنه يمسك بشئ فيه .. ثم ألقى بكفه الآخر عليه .. وبعد ذلك تغير عبد القادر فى سلوكه وحديثه وتحول إلى ولى صالح يقوم بالوعظ والإرشاد.. كان فى لمسات ساي بابا شردى طاقة روحية لها قوة تغيير الإنسان الذى يلمسه .. كانت له قدرة غير عادية على إجراء عمليات روحية غير منظورة فى طبيعة الناس ليحولهم إلى الإشراق الروحى والخلاص.

ذكر عن ساي بابا أنه يبدو وكأنه يعيش فى عالم آخر خلاف عالمنا هذا .. وأحياناً كانت له رحلات روحية خارج الجسد «طرح نجمى» يسافر فيها إلى أماكن بعيدة .. وعندما يستيقظ فى الصباح ويجلس بالقرب من المشعل الموجود فى المسجد مع العديد

من مريديه كان يقص عليهم الزيارات التى كان يقوم بها إلى أماكن بعيدة خلال الليل والمساعدات التى كان يقدمها فى جولاته الروحية للمحتاجين.

صرح ساي بابا شردى دائما أنه أقام مع معلمه الروحى اثنى عشر عاماً .. وأن هذا المعلم كان ولياً عظيماً ويعتبر تجسيداً كاملاً للحب والرحمة. وكان هذا المعلم الروحى رجلاً صوفياً مسلماً.

من أقرب المريدين لساى بابا شردى كان عبد الله الذى عاش معه عدة سنوات خادماً للمسجد، يحافظ على نظافته ويعمل على إضاءة مشاعله. فى ذلك الوقت تعهد ساي بابا شردى بالجانب الروحى لعبد الله .. وكثيراً ما كان عبد الله يقرأ القرآن وهو جالس بجانب ساي بابا .. وأحياناً أخرى كان ساي بابا شردى يفتح القرآن ويقرأ مرتلاً بعض السور منه .. كان ساي يطلب من عبد الله أن يظل متيقظاً طوال الليل ويستمر فى قراءة القرآن. وكانت لهذا المعلم الروحى دراية كاملة بالإسلام والقرآن والسيرة المحمدية والسنة والأحاديث النبوية، كما كان على علم بالصوفية وطرقها المختلفة خاصة الطريقة القادرية والطريقة النقشبندية.. كان ساي بابا يردد دائماً أسماء الله الحسنى باللغة العربية خاصة أسماء «الله مالك حى» .. ويقوم بتوزيع الطعام على الجائعين ومن أقواله الشهيرة:

«بالجلوس فى المسجد لا أنطق إلا صدقاً .. إن الله يحب أن يعطى الماء للعطشان والخبز للجائع والكساء للعريان. إذا انتقدك إنسان لا تلومه، وإذا جلست فى مكانك فانظر بهدوء على مجريات الأحداث وهى تمر أمام عينيك .. تخل عن الحواجز التى تقف بينك وبينى..

إن الله مالك لكل شىء .. وكل شىء لا يملكه إلا هو .. الله مشيئته لابد أن تنفذ.. الله هو المرشد فى الطريق .. وهو الذى يملأ القلوب .. الله هو الحق .. وكل شئ هو الله .. ولا شئ يخلو من الله .. الله هو المرشد .. ولا مرشد إلا هو .. الله هو العظيم .. ولا أعظم إلا الله الذى يهب لنا الحياة ويرعانا».

إذا قمنا بتحليل لتعاليم ساي بابا شردى فى ضوء الصوفية سنجد أن طريقته تميزت بثلاثة مقامات رئيسية: الفقر والصبر والتوكل .. بالنسبة للفقر الذى يعتبر المقام الرابع فى الصوفية كان ساي بابا يسمى نفسه بالفقير ويردد هذه الكلمة بروح متواضعة مقلاً لذاته أمام الله فكان يقول: «من أنا؟ ما أنا إلا فقير معدم ولست أنا الله .. الله هو الأعظم الذى لا يقارن به أحد».

كان ساي بابا يمتدح قيمة الفقر قائلاً: «الفقر مرتبة أعلى من الغنى .. والفقر يفوق آلاف المرات المقامات الأخرى عند الله .. الله رفيق الفقير .. والفقير إمبراطور حقيقى .. الفقر لا يفنى .. أما الإمبراطوريات فسرعان ما تفنى».

كان ساي بابا يرى أن الفقير دائماً فى حاجة إلى مطالب دنيوية ومطالب روحية فى نفس الوقت .. ولكنه لم يكن يشجع مريديه على حياة الفقر .. ولم يطبقها إلا على نفسه .. وكان يطلب من مريديه عدم إغفال الجانب الدنيوى فى حياتهم وينصحهم بالعمل والاعتدال فى كل شىء. وقد قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ

﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[1]. وقد قال رسول الله ﷺ: ﴿يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة سنة﴾. ويدل هذا على أن الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر. والفقر فى الصوفية من أشرف مقامات الروح.

دخل رسول الله ﷺ على رجل فقير فلم ير لديه شيئاً فقال: ﴿لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم﴾ وقال رسول الله ﷺ: ﴿الفقر على المؤمن أحسن من العذار الجيد على حد الفرس﴾، وقال ﷺ: ﴿خير هذه الأمة فقراؤها، وأسرعها تضجعاً فى الجنة ضعفاؤها﴾.

يأتى بعد ذلك الصبر فى المقام الخامس وهو من أهم المقامات الصوفية والتى سلكها ساي بابا فى طريقته .. وقد قال ساي بابا فى ذلك المقام «بالصبر يمكن الوصول إلى الله»، ورد الصبر فى القرآن أكثر من أى فضيلة أخرى وقد ذكر حوالى مائة مرة .. وهذا يدل على عظم مقام الصبر وأنه سيد الفضائل لأنه يربى ملكات الخير فى النفس البشرية. فالصبر على الجهاد وعلى الشهوات وعلى المثيرات يزرع فى الإنسان الشجاعة والعفاف والحلم. وقد جعل الله الصابرين ينالون مزيداً من الفضل والرحمة بقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾[2]. وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢٧٣.

(٢) سورة العصر – الآية من ١–٣

(٣) سورة الزمر – من الآية ١٠

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ﴾[5].

هذا هو مقام الصبر .. فيه سكينة للقلب .. وفيه بلسم للجراح .. والخلاص للمعذبين .. والصبر مفتاح الفرج. يقول الدكتور زكى مبارك فى كتاب التصوف الإسلامى: «الصابر يتلقى المكاره بالقبول ويراها من عند الله، وعند التأمل نرى العناية الآلهية تسوق الشدائد لحكمة عالية، والجاهل هو الذى يضجر ويحزن ويكتئب، أما العاقل فيتلمس وجوه الخير فيما يبتليه الله من شدائد».

لنذكر أيضاً أن كلمة الصبور من أسماء الله الحسنى .. وقد كان ساي بابا يرى فى الصبر سلوكاً صادقاً بطولياً .. ويعتبر ساي بابا الصبر تحملاً أكثر منه استسلاماً .. وكان يرى نفاذ الصبر مرضا من أمراض الروح».

يأتى بعد ذلك التوكل فى المقامات الصوفية وهو المقام السادس الذى سلكه ساي بابا فى طريقه وفيه يسلم الإنسان نفسه لإرادة

---

(١) سورة البقرة –الآية ١٥٣.

(٢) سورة آل عمران – من الآية ١٨٦.

(٣) سورة النحل – من الآية ٩٦.

(٤) سورة الإنسان –الآية ١٢.

(٥) سورة النحل –الآية ١٢٦.

الله ويطيع الله طاعة خالصة.. ويعتبر التوكل من أرقى مقامات الصوفية ويليه مباشرة مقام الرضا وهو المقام الأخير والذى يعتبر تاجا لمقام التوكل، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1]. وقال أيضاً: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

وقال سهل بن عبد الله: «أول مقام فى التوكل أن يكون العبد بين يد الله عز وجل كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف شاء، لا يكون له حركة ولا تدبير». وقال إبراهيم الخواص: «كنت فى طريق مكة، فرأيت شخصاً وحشياً، فقلت: جنى أو أنسى، فقال: جنى، فقلت: إلى أين؟ فقال: «إلى مكة، فقلت: بلا زاد، فقال: نعم فينا من يسافر على التوكل، فقلت: وما التوكل؟ فقال: الأخذ من الله تعالى».

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[3]. وأعظم مقام مرسوم بمحبة الله تعالى صاحبه، ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسه، فمن كان الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه وراعيه فقد فاز الفوز العظيم فإن المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب.

والمتوكل يتخذ ربه تعالى وكيلاً يستعين به، ويعتمد عليه، ويستند فى ظاهره وباطنه إليه .. وكفى بالله ولياً .. وكفى بالله نصيراً .. وقد علمنا الله سبحانه في كتابه الكريم حسن الظن بالله تعالى فقال جل شأنه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[4]. ويعرف

---

(١) سورة آل عمران – من الآية ١٢٢.

(٢) سورة المائدة – من الآية ٢٣.

(٣) سورة آل عمران – من الآية ١٥٩.

(٤) سورة الطلاق – من الآية ٣.

السادة الصوفية التوكل فيقولون التوكل طرح البدن فى العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى عطاء الكفاية، فإن أعطى شكر، وإن منع صبر، وموافقة للقدر. ويؤدى التوكل أن يكون المؤمن فى افتقار دائم إلى الله تعالى، والصوفى فى هذه المنزلة يكون على الدوام مفتقراً إلى الله فى الشدة والرخاء، وفى العسر واليسر، وفى الصحة والمرض، وفى الخوف والأمن وهكذا. وليس معنى هذا أن يترك الصوفى كسب عيشه، فإن كسب العيش وسيلة يعف بها نفسه عن سؤال الناس، ويعف بها من تجب عليه نفقتهم، وإنما المقصود أن يطمئن الصوفى إلى أن الله كفل له رزقه، فلا يشغله الرزق عن الرازق. وقد أمر الله سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ بالتوكل.

فقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨)﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾[3].

والسادة الصوفية حين يدعون إلى التوكل يأخذون بالأسباب معتمدين على فضل الله فى ثمراتها، وراضين بالنتائج مهما كانت، رادين الأمر له سبحانه، فإن أعطوا شكروا، وإن لم يعطوا صبروا، لأن التوكل عندهم يقتضى الرضا والتسليم، ومن ثم يتركون اختيار نفوسهم اكتفاء باختيار الله لهم، فهم مع القضاء كالهباء فى الهواء يحركه كيف يشاء. ويساعدهم على التوكل قوة يقينهم بالله

---

(١) سورة الفرقان – من الآية ٥٨.

(٢) سورة الشعراء – الآية ٢١٧ و ٢١٨.

(٣) سورة الأحزاب – الآية ٣.

تعالى، واليقين نور فى القلوب يشاهدون به أنه لا فاعل إلا الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾[1]. وهى تدل على أن الله وحده هو الفاعل المطلق يصدر عنه ويرد إليه كل فعل. وأن العبد من الرب بمثابة القلم من الكاتب الذى يمسك به ويحركه ويجرى به بيده فيكتب ما يشاء.

ويعلمنا السادة الصوفية أن التوكل ينتهى بنا إلى الرضا، والرضا هو أعلى مقامات اليقين، والصادقون إذا ابتلوا فى الدنيا بأنواع البلاء، تنزاح عنهم مرارة البلاء بحلاوة الرضا فيعيشون دنياهم برضاهم سعداء. وقد قال الله عز وجل: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2]. وقد قال رسول الله ﷺ : ﴿وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس﴾.

وقال أيضاً: ﴿يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا﴾، وقال النورى: «الرضا سرور القلب بمر القضاء»، والرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا. وهو أن يكون قلب العبد ساكناً تحت حكم الله عزوجل.

نخلص من ذلك أن المقامات الصوفية الرئيسية فى حياة ساي بابا كانت المقام الثالث والرابع والخامس وهى الفقر والصبر والتوكل. وفوق هذه المقامات كان الحب والرحمة يقفان عند المقدمة والوسيلة والخاتمة فى رسالة ساي بابا .. وفى ذلك يقول الحلاج: «الله مكانه فى قلبى .. بل فى كل قلبى .. ولا يوجد فيه مكان لسواه ....».

---

(١) سورة الأنفال — من الآية ١٧.

(٢) سورة المائدة — من الآية ١١٩.

إذا تأملنا فى الرقص الصوفى الدائرى للدراويش سنجده يمثل دوران الكواكب حول نفسها ودورانها حول الشمس .. وذلك يرمز إلى دوران الروح حول خالقها الله حتى تصل إلى حالة الوجد .. وتتيقن من وحدة الوجود. وهنا نجد أن ساي بابا شردى كان يحب هذا النوع من الرقص الصوفى فى حياته الأولى بالمسجد حتى عام ١٨٩٠. وكان يمارس الذكر الدائم والذى يعتبر أهم ركن فى حياته الروحية سواء ذكراً صامتاً أو خافتاً أو بصوت مرتفع .. وهو منذ استقر فى بلدة شردى لم ينقطع عن ترديد اسم «الله مالك» حتى آخر يوم فى حياته.. وكانت أحب أسماء الله الحسنى عنده «الله مالك» والتى يقال إنه أخذ هذا العهد من شيخه الأول .. يقول الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾[1]. ويقول تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾[2]. والاحتمال الأكبر أن ساي بابا فى ذكره اسم «مالك» كان يقصد «مالك الملك» ويرى فى هذا الاسم الكمال والجوهر .. كما أن الله يملك العالم كله .. فإن هذا الاسم يكشف أن الله هو مالك هذا الكون الذى ينفذ فيه مشيئته بالخلق أو بالفناء .. و «مالك الملك» تعنى أيضاً القوة لأن الله يمتلك القوة الشاملة كلها وهو الذى يحكمها ويسيطر عليها.

ويرى ساي بابا فى هذا الاسم العظمة اللانهائية لله، وأن الله هو المسيطر على كل ما يخلق سواء الظاهر أو الباطن وهو الذى يشرق بنوره على ملكوته .. وهو الحقيقة المطلقة العظمى، يقول ساي

---

(١) سورة آل عمران – من الآية ٢٦.

(٢) سورة طه – من الآية ١١٤.

بابا شردى: «الله هو العظيم .. وهو المعلم الأعظم .. وهو المالك .. ما أعظمه سبحانه وتعالى الذى لا يقارن به أحد سواه».

إذا بحثنا فى الذكر نجد أنه درجات ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالروح .. كان ساي بابا يمارس دائماً الذكر بالقلب والذى يصل فيه السالك إلى سماع اسم الله مع دقات قلبه عندما يتوقف عن ترديد الاسم فى عقله .. وأعلى مرتبة فى الذكر هو ذكر الروح «السر» فيها يتخلل اسم الله كيان السالك ويصل فى هذه الدرجة إلى فناء كامل لذاته، وهنا تغمره البركة الآلهية .. وفيها يفنى السالك كاملاً فى الله وهى أعلى المراحل الصوفية «فناء الفناء» .. وتتمثل هذه التجربة الصوفية بومضات من النور، وهو ما يسمى بالنور الآلهى الذى ينير كل ملكوت الله .. وسالك الطريق الذى يسير فى رحلته إلى ذكر الله بالروح «السر» يدخل فى عرش الله وجميع العوالم الآلهية حتى يصل فى النهاية إلى نقطة الاندماج مع الجوهر الربانى، وهنا لنا أن ندرك الحكمة فى احتفاظ ساي بابا بمشعل المسجد مضيئاً دائماً، وتحديقه فيه مردداً الاسم «الله مالك» ومشجعاً مريديه على الترديد المستمر لاسم من أسماء الله الحسنى المقرب إليهم دون تغيير لهذا الاسم.

كان ساي بابا يصلى الصلوات الخمس للإسلام ولا ينقطع عن تكرار أسماء الله المحببة إليه «الله مالك» .. كان دائم التأمل فى عظمة الله وسيادته ..وكثيراً ما كان يزور تكية المسلمين ويتمايل مع الصوفيين فى نشوة مبتهلاً أسماء الله باللغة العربية على أنغام الموسيقى .. وكان ساي بابا يعبر عن عبادته لله الرحيم المطلق بقلب يتفجر بنشوة الحب الآلهى.

اعتاد ساي بابا المداومة على قراءة القرآن .. وشجع مريديه على قراءة القرآن بصوت عال فى المسجد .. كما أنه كان يكثر من الذكر الصامت لاسم الله .. وهو يرى أنه فى داخل كل اسم من أسماء الله تستقر قوة ربانية، وعندما يبدأ الذكر بتكرار متدرج لاسم الله سرعان ما ينطلق سر القوة الربانية الكامنة فى هذا الاسم فيرتفع القلب ويسكن العقل عن الفكر.

يرى ساي بابا شردى أن ذكر الله المستمر يشل حركة الأفكار فى العقل ويجعل الإنسان مندمجاً مع طبيعته الحقيقية الأولى «الروح». وشرود العقل نحو الأشياء الدنيوية فى الخارج تجعل الإنسان لا يدرك طبيعته الحقيقية (الأنا الحقيقية) المبتهلة لله .. وعندما يقوم الإنسان بمجهود واعٍ داخلى ذاكراً أو مبتهلاً أو متأملاً فى اسم الله يتوقف عقله عن التفكير فى الأشياء الأخرى الخارجية عن ذاته .. ولا يتبقى لديه إلا طبيعته الربانية.

لا يوجد اختلاف بين الله واسمه. وقد قال أحد الصوفيين: «إذا كنت تبحث عن الله .. فابحث عن صحبة اسم الله بمعنى أن تكرر اسم الله باستمرار، فلا يوجد أدنى اختلاف بين الله واسمه»، وقال صوفى آخر: «بركوبى سفينة اسم الله .. سوف أعبر بها فوق محيط ما وراء النفس». وقد قال رجل للنبى ﷺ : ﴿إن شرائع الإسلام قد كثرت على فمرنى بأمر أتشبث به . فقال : لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله﴾[1]. وقد جاء عن النبى ﷺ أذكار كثيرة تجعل الإنسان موصول القلب بربه، ورطب اللسان بذكره تعالى عند النوم واليقظة. والذكر

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن.

المحمود هو ما اجتمع فيه القلب واللسان، ولا خير فى ذكر اللسان إذا كان القلب ناسياً غافلا. وقد نصح ساي بابا شردى مريديه بالممارسة المستمرة للذكر دون توقف وحتى خلال النوم، وكان يجبر أحد مريديه بالبقاء يقظاً فى المسجد خلال الليل مشتركاً معه فى ذكر الله، وعندما يرقد ساي بابا على جنبه وهو فى ذكر الله كان يطلب من المريد أن يضع يده على قلبه. فإذا أحس المريد أن ساي بابا قد أتته إغفاءة يقوم المريد بإيقاظه وتنبيهه للذكر. أكد ساي بابا شردى كثيراً أنه فى العصر المظلم يعتبر الحب الآلهى هو أسهل طريق نحو الخلاص والإشراق الروحى .. ومفتاح ذلك ذكر الله.

وصل عدد مريدى ساي بابا إلى الملايين من جميع الطبقات الفقيرة والمتوسطة والغنية وفيهم الأمراء والنبلاء .. وفى ١٦ أكتوبر ١٩١٨ رحل ساي بابا شردى عن عالمنا هذا عن عمر يناهز الثمانين .. ومازالت مدينة وجامع شردى مناراً ومزاراً لجموع غفيرة من المريدين حتى وقتنا هذا.

ومن أحاديث ساي بابا شردى:

علينا أن لا نهتم بجمال ..

أو قبح إنسان ..

لنركز فقط على الله.

- وقال أيضاً:

«المتصدق يعطى ..

وينثر بذوره ..

وفى المستقبل يجنى ثمار محصوله ..
والثروة كذلك ..
يجب أن تنفق فى العمل الصالح ..
فإذا لم تنفق مبكراً ..
لن تحصل عليها الآن ..
وأحسن وسيلة لكى تأخذ ..
هو أن تعطى .. ».

- وقال أيضاً:

«إذا قام الآخرون بكراهيتنا ..
علينا أن نذكر ونبتهل اسم الله ..
ولنجتنب هؤلاء الناس ..
لا تنبح فى الناس ..
ولا تكن ميالاً للشجار ..
وتحمل عتاب الآخرين ..
فذلك هو طريق السعادة».

- وقال أيضاً:

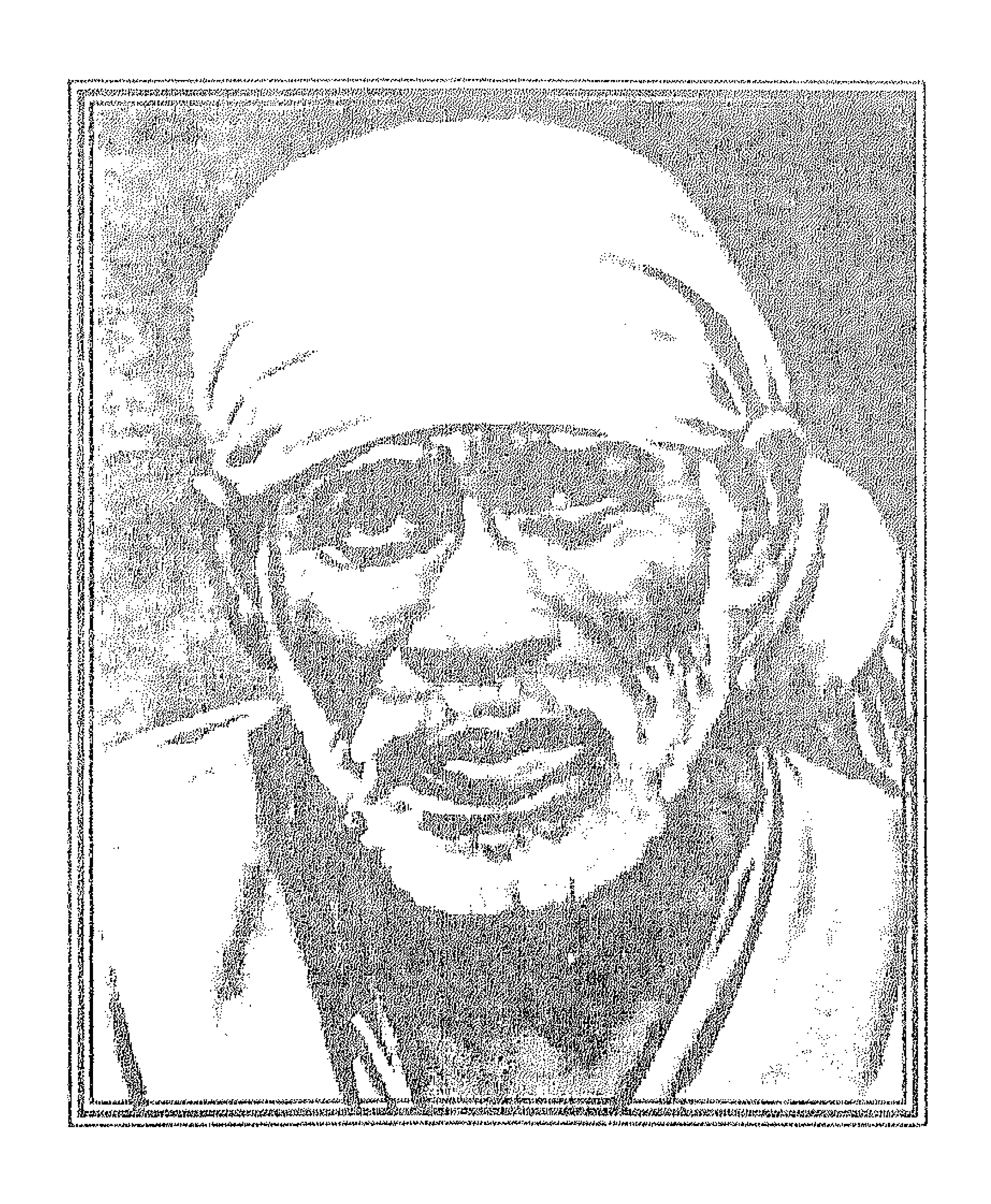
«عامل الجميع بحب ..
لا تجادل ولا تثرثر ..
ولكن ركز على الله».

وقال أيضاً:

«ليكن سلوكك مستقيماً ..
يأتى الله بالخير لك ..
وإذا سلكت سلوكاً معوجاً ..
فلن يصيبك إلا السوء».



صورة فوتوغرافيه اخذت عام ١٩١٢ لساى بابا شردى
وعن يساره جوبالراو وعن يمينه نانا صاحب وهما من مريديه



ساى بابا الصوفى المجذوب إلى الله



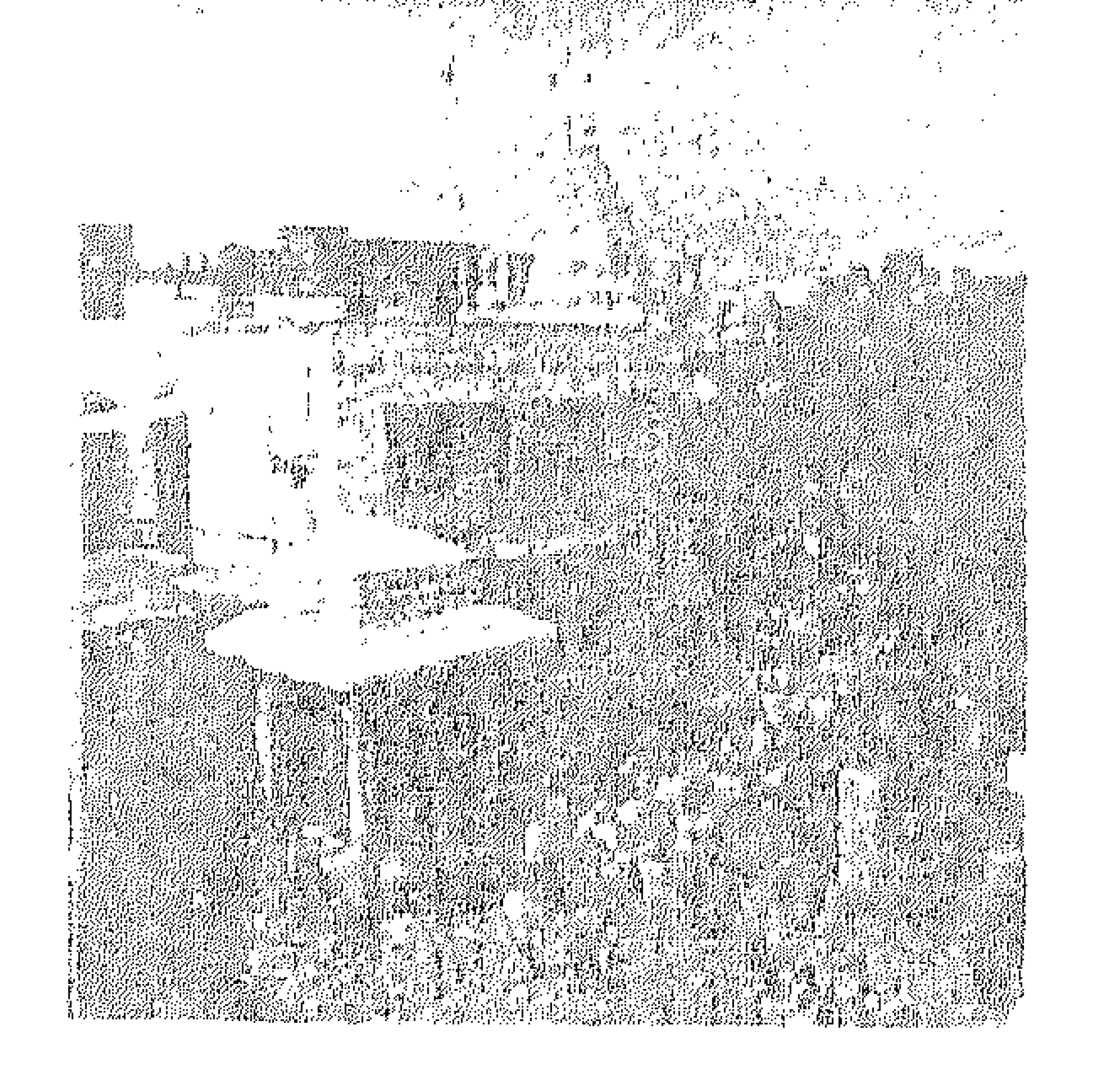
ساى بابا فى شبابه




ساى بابا وسط مريديه

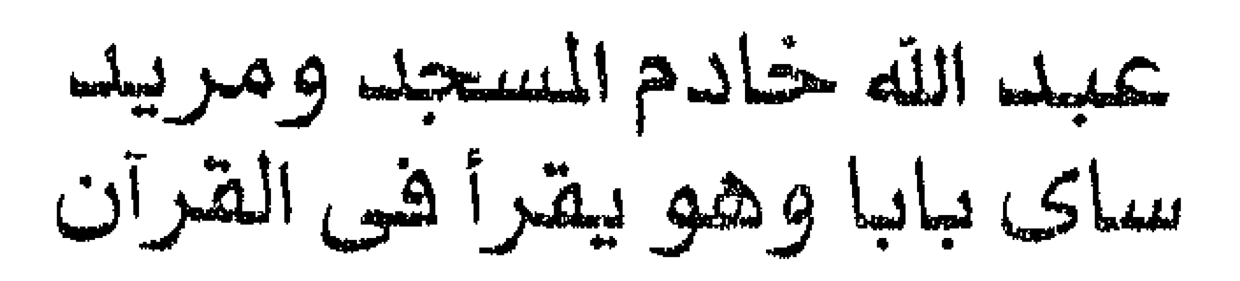


ساى بابا طالب للصدقات فى
بلدة شردى



ضريح ساي بابا





عبد الله خادم المسجد ومريد
ساى بابا وهو يقرأ فى القرآن

الفصل الثالث

المعجـــــــزات

تجدون الإيمان بالمعجزات صعباً؟ أما أنا فعلى العكس أجده أمراً سهلاً. المعجزات شىء يجب توقعه: العالم المرصع بالنجوم، موكب الحياة، عملية النمو التكاثر، غرائز الحيوانات، إبداعية الطبيعة، كل هذه أمور غير قابلة للتصديق تماماً، معجزات تتراكم فوق معجزات.

(بروفسور و. ماكيل ديكسون – محاضرات جيفورد [١٩٣٥–١٩٣٧])

معظمنا يتعرف على العجائبى والساحر فى الطفولة المبكرة .. خلال تلك السنوات الرائعة، وقبل أن تضيق علينا «ظلال البيت – السجن»، تكون المعجزات جزءاً من النظام المقبول. ليس هناك مجال للشك مثلاً، فى قوة مصباح علاء الدين السحرى، أو فى حديث جاك مع حبات الفاصوليا فى أرض العمالقة. أو فى سير المسيح على الماء وقد عصفت به الريح.

مثل هذه القصص ليست محصورة فقط فى الكتابات الشعبية والدينية فى العالم الغربى. فالتاريخ البشرى فى كافة المجالات، يكشف عن سجل من المعجزات يمتد من عصر السيد كريشنا – من حوالى ٥٠٠٠ سنة – حتى يومنا هذا. فعصر المعجزات كان دائماً ملازماً لنا. نقرأ عن فجره الوردى فى الآفاق البعيدة لمصر القديمة، ولدولة الكلدانيين، والهند وفلسطين. وفى الإسكندرية القديمة، فى

عهدها المسيحى الأول، كان هناك سحرة يجعلون الأصنام تسير وتتكلم وتتنبأ، فى المهرجانات العامة.

لسوء الحظ، فى العصور الوسطى، ادعت الكنيسة لنفسها حق احتكار كل ما هو عجائبى، ومن كان يعمل فى هذا الحقل من خارج الكنيسة، كان يفعل ذلك بسرية تامة. ومن بين العاملين بالسحر من غير الإكليركيين كان أعضاء جمعية الصليب الوردى. لكن بالرغم من حسد الإكليركيين وقوتهم، فقد تمكن بعض هؤلاء أمثال باراسلسوس والكونت دى سان جرمان من استقطاب الجماهير، فأثاروا بذلك مخاوف رجال الكنيسة وشكوكهم وجشعهم.

لكن ما العجيبة بالنسبة لنا؟ فلو كان قد ظهر فى العصور الوسطى فرد واحد قام بأى من الأمور التى نتقبلها اليوم كواقع مسلم به – التلفاز، السفر عبر الفضاء، الصعود إلى القمر، التواصل عبر القارات بثوان معدودة، تحويل المادة إلى طاقة نووية، أو تحويل المادة إلى ذراتها الأساسية واستعمالها كقطع آجر فى تركيب شكل آخر من المادة مختلف تماماً، فما تراه كان قد حل بمثل هذا الهرطوقى الخطر؟ ما عساهم كانوا قد فعلوا بمن يهزأ بقوانين الله على هذا النحو ويضعف من مكانة اللاهوتيين ويحتكر لنفسه قوى الملائكة؟ هل كانت حياته لتساوى أكثر من حزمة حطب يعدونها لحرقه؟

لكن هذه المعجزات تمت تدريجيا من خلال جهود علمية حقيقية، نعرف نحن بعض القوانين الكامنة وراءها، أو حتى إن لم

نكن نحن أنفسنا على معرفة بها فإننا نعتقد أن الكهنة العصريين يعرفونها، لذلك نحن نتقبل هذه الظواهر براحة وإعجاب على أنها نتيجة التقدم العلمى، لذلك لا نعتبرها معجزات.

غير أنها بشكل أو بآخر تعتبر معجزات، تماما كما هو الكون بأكمله فى الزمان والمكان. وكذلك اختراعات العقل المدهشة. لكننا لا نشعر بالأمان إلا إذا استطعنا القول: إنها تعمل طبق المعادلة هذه أو تلك، أو أن علماءنا اكتشفوا القوانين وأن التقنيين يعملون مسترشدين بهذه القوانين. ونشعر بالاطمئنان، إنها علمية ولا شىء عجائبى فيها!.

إذن .. يبدو أن تعريف المعجزة هو أنها ظاهرة نعجز نحن عن فهم قوانينها السببية ونعتقد أن الجزء الأكبر من العلماء والعاملين فى حقل العلوم من الذين وضعنا ثقتنا فيهم وآمنا بهم، هم أيضاً لا يدركونها. العجائب المسيحية كتلك التى مركزها لوردز هى بالنسبة للاهوتيين «تعليق لتأثير قانون من قوانين الطبيعة بإرادة الله تعالى»، لكن الذى يؤمن بوجود قوى خفية يرفض مثل هذه الفكرة. فبالنسبة له ليس هناك تعليق لقانون، قد يبدو الأمر كذلك، لكن الحقيقة هى أنه هناك قانون أعمق وراء الظاهرة العجائبية لم يكتشفه العلم البسيط بعد. عندما ندرك القانون الأعظم فإن مفهومنا الفكرى للقانون الأقل شأناً، يتغير.

حددت مدام هـ. ب. بلافاتسكى وجهة نظر المؤمنين بالقوى الخفية فقالت: «المعجزة ليست انتهاكا لقوانين الطبيعة كما يعتقد بعض الجهلة. السحر هو علم ليس إلا. إنه معرفة عميقة

بالقوى الخفية فى الطبيعة وبالقوانين التى تحكم العوالم المرئية». هذه القوانين الخفية لها علم قائم بذاته، لكن الذين يملكون هذا العلم كانوا دائما قلة غير معروفين لدى الجماهير. لذلك فإن الرأى العام غالباً ما يشك فى وجودهم، أو فى وجود أية معرفة بالقوانين الخفية.

تبين السجلات أن المعجزات على أنواع يصنف بها غفان داس معجزات السيد كريشنا على النحو التالى:

(١) مضاعفة كمية قليلة من الطعام، أو مواد أخرى، كخلق كميات كبيرة منها.

(٢) منح رؤى استنارية.

(٣) الرؤية من مسافات بعيدة.

(٤) إطلاق جسده أو أجساده اللطيفة (الأثيرية) بحيث تظهر فى أماكن عدة فى آن واحد.

(٥) شفاء المريض والمشوه.

يسوع المسيح كان يقوم بمثل هذه المعجزات المتنوعة، لكن ربما كان التركيز مختلفا. يبدو أن الناصرى كان أكثر ما يركز على شفاء المريض والمشوه والمعتوه. لكنه قام بكثير مما نسميه نحن اليوم «ظاهرة»، كان يرتفع فوق الماء ويحتجب عن الرؤية، ويحول الماء إلى نبيذ وإذا كانت السجلات صحيحة، فقد قام بأعظم عجائبه فى نهاية القصة، إذ إنه بعد وفاته قام بتحليل جسده المادى ليخرج من القبر ويعيد تجسده على شكل بلاستيكى طيع جعل من الصعب

على تلاميذه التعرف عليه أحياناً. وأخيراً، وعلى جبل الزيتون، رفع ذاك الجسد الأثيرى إلى مستوى آخر من الوجود.

إن السيد كريشنا والمسيح هما صانعاً العجائب الأكثر بروزا فى الكتابات المقدسة. غير أنه وجد آخرون أقل منزلة أو ربما أقل شهرة. منهم من استطاع الإتيان بصنف أو صنفين من المعجزات، وآخرون تمتعوا بقوى أكبر. فحواريى المسيح الأوائل قاموا بشفاء المرضى وأتوا بعجائب أخرى عديدة. وقد تمكن أبولونيوس التيانى من القيام بأكثر من ذلك فى القرن الأول الميلادى. كان مجرد وصوله إلى قرية ما، كافيا لوضع حد لوباء الطاعون فيها. وقد أظهر العديد من القديسين والصوفيين قوى عجائبية كالارتفاع فوق الماء والتواجد فى مكانين أو أكثر فى آن معاً، وقد توافرت عبر العصور أدلة عديدة على وجود جمعيات سرية لسحرة تمكنوا من إخضاع القوى الخفية والسيطرة عليها. ومنهم من كان ماهراً فى فروع مختلفة من علوم السحر السامى.

فى الجزء الأخير من القرن الماضى، أذهلت مدام بلافاتسكى عالما غربيا شاكا بسيل من الظواهر الصعبة التفسير. يبدو أنها كانت – عند الحاجة – تأتى من اللاشئ بأصناف مختلفة من الحاجات – تمر، أوان فخارية، سكاكين للمائدة، مجوهرات، مناديل مطرزة، كتب، رسائل، أو أشياء أخرى. ويقال إنها قامت بتحويل مادة معينة إلى أخرى مختلفة، وإنها انتقلت بجسدها اللطيف، وإنها كانت أحياناً تقوم بحجب جسدها المادى. كان باستطاعتها رؤية أشياء فى الماضى البعيد أو من على مسافة كبيرة بما كانت تسميه النور الكوكبى.

إن من يدرس الأدلة دراسة دقيقة وبدون تحامل لابد أن يتحقق من أن السيدة بلافاتسكى كانت فنانة فيما يدعى الناس سحرا، أو ربما يكون أقرب إلى الحقيقة القول إنه فى كثير من الحالات كان السحر يتم من خلالها بواسطة بعض اليوغيين المتقدمين، أو بعض أساطنة هذا العلم من أساتذتها.

فقد قيل إنها كانت وسيطة، لكن فى مضمون الممارسة الروحية تأخذ هذه الكلمة معنى فقدان الوعى، ومدام بلافاتسكى لم تفقد وعيها قط حين كانت الظاهرة تتم بواسطتها. كانت تفضل استعمال تعبير «قائم بالوساطة» بدل كلمة وسيط لوصف الدور الذى كانت تقوم به. فالخبراء الذين كانوا يعملون من خلالها كانوا يعيشون بعيداً جداً لكنهم لم يكونوا محدودين بالمكان. كان باستطاعتهم معرفة ما يحدث على مسافة بعيدة ويتصرفوا — إما بالانتقال بأجسادهم اللطيفة، أو ببعض الطرق الأخرى.

فيما يتعلق بالعجائبى فى الماضى والحاضر فإن الرأى العام السائد يقسمه إلى ثلاث فئات: هناك من (ربما كان أكثرهم فى العالم الغربى) يعتقد أن الحديث عن المعجزة كلام فارغ، ليس له فى الواقع أى أساس. من ناحية أخرى هناك من خلال تجربة شخصية أو لأسباب أخرى. يقول بالمعجزة كواقع ممكن تماماً.

وأخيراً .. هناك البعض — وهم يتزايدون عددا — من يحتفظون بعقل منفتح حيال هذا الموضوع. فهم يشعرون أن الأحداث التى تتجاوز حدود التفسير العقلانى لا تتعدى بالضرورة الإمكانية، وهم يجدون عقلانية حقه فى الفكرة القائلة بأن العلوم الحديثة لا تشمل كافة القوانين الكونية والقوى التى وراءها.

إلا أنهم وهم يتقبلون نظريا إمكانية العجائبى، فإن أفراد الفئة الثالثة لا يعتقدون بأن المعجزات تحدث فى الواقع. فقبل الاقتناع بعجائبية حادثة ما، تراهم بحاجة إلى دلائل قوية، ربما تتمثل بحواسهم الخمس نفسها أو بغير ذلك – حدس داخلى يصاحب عملية النظر واللمس والسمع والتدقيق. وقد كنت شخصياً أنتمى إلى هذه الفئة الثالثة قبل أن التقى بساتيا ساي بابا.

إن اهتمامى بالبحث المتعلق بالقوى الخارقة ودراسة الأعمال المتعلقة بها خلال القرن الماضى، اقنعنى بأن العديد من المعجزات حقاً أخذت تتجاوز بانتظام حدود الإمكانية إلى ميدان الوقائع العلمية الجدية. فالتخاطر والاستبصار هما اليوم ظواهر معترف بها فى المختبرات، رغم أنه ليس لها حتى الآن نظرية «علمية أو تفسير» مرض، علاوة على ذلك هناك دليل قوى على حقيقة السايكو كينيسيز، أى قدرة العقل البشرى على تحريك الحاجات من مسافة ما.

عندما يتم الاعتراف بما لا يقبل الشك – ومن خلال تجارب مخبرية وتحاليل إحصائية – بظواهر مثل القدرة على قراءة الفكر، والرؤية عبر الجدران، والتنبؤ بالأحداث المستقبلية، أو القدرة على الإتيان بحاجات مادية أو تغيير حركتها، يصبح لدينا منطق علمى وراء ما كان يسمى «سحراً».

هذا هو ما يحتاجه أكثر الناس فى يومنا هذا. فهم ليسوا بحاجة إلى تفاسير لاهوتية كما فى السابق، بل إلى منطق معقول من وجهة النظر «العلمية» الحديثة، رغم أن كثيرين من العلماء

التقليديين يشيحون بنظرهم عن الوقائع. فقد وجد فى جميع العصور عقائديون اتسموا بالعناد فكانوا يفضلون الراحة التى كانت توفرها لهم تلك العقائد والنظريات على الوقائع والأفكار والدلائل الجديدة. نصادف هذا الجمود فى كافة الطبقات. إنها حالة تجعلهم يتمسكون بأمان «الوضع الراهن» ويتجنبون جهود ومخاطر البحث المستمر عن الحقيقة.

لكن إذا كان العجائبى يعمل حقا، فكيف تراه يعمل؟ هل بإمكاننا معرفة أو اكتشاف شىء عن الوسائل أو العمليات التى من خلالها يتم ما يعرف بالمعجزة؟ هل بإمكان فيزيائى نووى شرح كيف يطلق الصاروخ إلى القمر لتلميذ فى الصفوف الابتدائية؟ قد يعطيه بعض التلميحات وقد يشرح له شرحاً مبسطاً جداً، لكن قبل أن يتمكن التلميذ من فهم قوانين الفيزياء النووية وطريقة عملها، يحتاج إلى تنمية طاقاته الفكرية خطوة بخطوة، من خلال تدريب طويل ومنضبط.

إن التطوير والتدريب اللذين يتطلبهما تلميذ المدرسة كى يصبح فيزيائياً نوويا يطالان بشكل رئيسى فكره وقوته على التركيز والمثابرة. فى المقابل، إن التدريب الذى يحتاجه الإنسان العادى كى يكسب بعض المعرفة المتعلقة بالمعجزات يعتمد بشكل خاص على أخلاقه، على تفتحه النفسى وعلى تطوره الروحى. فبالتدريب اليوغى، الذى هو تدريب روحى فى الواقع، تبدأ القوى العجائبية بالظهور من ذاتها، كما يقول باتنجالى فى كتابه «يوغى سوترا».

كثيرون من المعلمين العظام درسوا القانون نفسه بطرق مختلفة. فساى بابا شردى مثلا، قال لأتباعه إنه فى سياق تركيز المريد على معلمه – أو على الله – يصبح المريد، إذا كان مخلصا – أكثر هدوءا ورباطة جأش. وفى كثير من الحالات تتفتق لديه القوى الكامنة التى تمكنه من قراءة فكر الآخرين والاستبصار.

لكن ماذا عن كهنة الفودو فى أفريقيا والشامانيين فى قبائل سايبيريا، والأطباء السحرة فى الشعوب البدائية؟ أكثر هؤلاء هم بعيدون جداً عن التطور الروحى. فى الواقع غالبا ما يستعملون قدراتهم السحرية للانتقام، أو للمكاسب الشخصية أو للقتل أو لأنواع متعددة من الإجرام المتخفى.

هذا يقودنا إلى موضوع مستويات السحر المختلفة – من السحر الأبيض التجاوزى السامى، نزولاً عبر ألوان مختلفة من السحر الرمادى والأسود. أنواع عديدة من المعجزات تتم من خلال تعاون بين كائنات موجودة فى مجالات أخرى من الكون، كالأشباح والعنصريين والملائكة. يبدو أن هذه الفكرة هى الأكثر قبولاً إذ إن جميع السحرة تقريباً ذكروها، لا فرق بين الذين ينتمون إلى الفئة العليا أو الدنيا منهم، أو الذين كشفوا شيئاً من طريقة عملهم. فالكولونيل هـ. س. اولكوت، مؤسس ورئيس الجمعية الثيوصوفية يقول إن أعضاء آخر مدرسة للسحر فى الإسكندرية القديمة «كانوا يؤمنون بوجود أرواح بدائية كانوا يستدعونها ويسيطرون عليها».

هناك وسائل سرية لاستحضار أنواع مختلفة من الكائنات والسيطرة عليها. هذه لا تشمل التنترا، والمنترا، والينترا – الطقوس الصحيحة، الكلمات الصحيحة، والأشكال الهندسية والحسابية الصحيحة فحسب – بل تتضمن أيضاً بعض الانضباط الذاتى، وفوق كل ذلك تطوير قوة الإرادة.

كلما تطورت قوة الإرادة، كلما خفت الحاجة إلى مساعدة الطقوس والشعائر. فى كتابه «Old Diary Leaves»، يصف الكولونيل اولكوت – الذى أمضى سنوات عديدة قريبا من الساحرة ومبدعة الظواهر. ب. بلافاتسكى – أحداثا عجائبية كانت غالبا ما تحدث أثناء وجودها. وقد أخبرته أن بعضها كان يتم بمساعدة الأرواح العناصرية، وأنها كانت تخضع لسيطرتها تماما دون الحاجة لاستعمال أى طقوس كالمنترات والينترات.

من ناحية أخرى استعمل ساحر إيطالى كان يدعى بروزيسى الينترا عندما جاء لزيارة السيدة بلافاتسكى والكولونيل اولكوت فى نيويورك. فباستعماله فنون السحر جعل السماء تمطر سيلا رغم أنها كانت صافية زرقاء. وقد لاحظ الكولونيل أن السيد بوزيسى بدا متمتعاً بقوة إرادة لا تقهر، إلا أنه استعمل أيضاً رسما هندسيا غريبا على لوح من الكرتون المقوى رفعه نحو السماء ولم يسمح لألكوت بلمس أو تفحص هذه الينترا عن كثب. وقد ذكر الإيطالى أن الذين أحدثوا المطر كانوا أرواحا فى الهواء يأتمرون بأمره.

يبدو أن الذين ينتمون إلى مستوى أدنى من التطور الروحى يمكنهم استعمال تقنية معينة يستخدمون فيها كائنات من

مجالات أخرى من الوجود، تخترق الأرض. لكن بما أن الأشباه تتجاذب، فإن السحرة من ذوى الأهداف الشريرة يجذبون عملاء ذوى أرواح شريرة لتنفيذ رغباتهم. إن قوة هذا النوع من السحر الهابط هى حقيقة واقعة، تحت شروط معينة، لكنها قوة محدودة ومحفوفة بالمخاطر بالنسبة لمن يمارسها. عليه أن يكون دائم الحذر لئلا يرتد سحره عليه ويدمره. تلك هى إحدى مخاطر السحر الأسود.

إن الذين يمارسون السحر الوسطى أو الرمادى يشدون إليهم حلفاء من صنف أفضل نوعاً، من مجالات الوجود اللطيفة. إن أهداف مثل هؤلاء السحرة ليست إجرامية. منهم من لا يهدف إلى القتل أو اللا أخلاقية أو السيطرة أو الدمار، ومع ذلك، فإن هدفهم، يمثل معظم سكان هذا العالم اليوم، هو هدف أنانى أكثر منه غيرى.

فالكبرياء والرغبة فى الشهرة والطموح والجشع هى من بين الدوافع التى تحركهم، فمحمد بيه مثلا، الذى كرس له بول برونتون فصلا كاملا فى كتابه عن الهند، كان من صنف الساحر الرمادى العادى، كان هدفه جمع ثروة وممارسة عمل غير عادى (خاصة قراءة مضامين الوثائق المختومة – المخطوطات). كان يقول إنه درب روح أخيه غير المتجسدة وكان يستعملها. قد لا يفوق موقفه هذا ممارسات تجارية عادية لا أخلاقية مثل استعمال جواسيس من لحم ودم فى حقل الصناعة. لكن الأمر ينطوى على مخاطر كثيرة تشمل صحة وسعادة وسلامة من يستعمل القوى غير المتجسدة. علاوة على ذلك، فإن القوى العجائبية التى تستعمل

لأهداف أنانية وتجارية تفقد بسهولة، كما توضح لكثير من الوسطاء الروحانيين المحترفين وليوغيين شرقيين كاذبين.

من الشعوذة الهمجية والسحر الأسود مرورا بمختلف درجات اللون الرمادى، نصل إلى السحر الأبيض. إنه شىء مختلف تماماً. مختلف بالهدف والوسيلة والرتبة. ومفتاح إدراكه يكمن فى الهدف منه الذى يجب أن يكون نقياً، أى منفصلاً تماما عن الذات الشخصية للممارسة، الذى ينبغى أن يكون شخصاً قد سما فوق نداءات الطبيعة العادية أى أن لا تعنى شيئاً له تلك القوى العادية التى تسير الإنسان، مثل الثروة، الطموح، الشهرة، السلطة الشخصية والأمان. ينبغى أن يكون حبه الصافى للإنسانية محركه الوحيد، وأن تكون أمنيته التخفيف من أحزان الناس وآلامهم والسمو بهم إلى مستويات أعلى من الإدراك والسعادة.

إذا وصل إنسان ما إلى مثل هذه المستويات الرفيعة من العمل — ربما من خلال تطوره فى تقمصات عديدة على الأرض — يصبح حتميا أن يمتلك قوى عجائبية، إذ تصبح هذه جزءا من طبيعته الطاهرة المقدسة. تتساءل السريما بهاغفاتا: أى قوة هى فوق متناول حكيم سيطر على عقله وحواسه وتيارات أعصابه ومزاجه وركز على الله؟ وفى مكان آخر تقول: «عندما يندمج الإنسان بالله فإن كافة القوى والمعرفة والكمال والحكمة كلها والتى تسمى قدسية، تشع فيه».

إن جميع الذين كتبوا فى هذا الموضوع الصعب قالوا الشىء نفسه. كتب أليفاس ليفى فقال: «من أجل السيطرة على الطبيعة،

على الإنسان أن يكون فوق الطبيعة». وفى كتابه «History of Magic» قال جوزيف اينموسر منذ أكثر من قرن إن الأعمال العجائبية المقدسة ممكنة فقط «للذين جعلوا من حياتهم بأكملها حياة مقدسة. الذين لم يعودوا عبيدا لأحاسيسهم». من المعروف أن مدارس السحر التابعة لكهنة الإغريق القدامى الذين استنبطوا الأسرار السحرية، كانوا يعيشون حياة على درجة عالية جدا من الطهارة ونكران الذات.

فى أعلى المستويات يمكننا القول أن المعجزة هى عمل من أعمال الله يتم من خلال إنسان طاهر يتقمص الألوهية ليعطيها شكلا بشريا. قال يسوع: الذى يسكن فى داخلى هو الذى يقوم بالأعمال (المعجزات). أنا فى الرب والرب فى».

فى الإمبراطورية الرومانية، فى القرن الأول الميلادى، كان السحر قد شوه سمعة كل ما هو عجائبى، مما دفع الإمبراطور إلى منعه. لكن رجل العجائب العظيم أبولونيوس التيانى أظهر الفروقات بين الأشكال العليا والدنيا. قال: «لست بحاجة إلى أضاحى لأن الله بارز أمامى دائما ويحقق أمنياتى. إنى أسمى السحرة حكماء مزيفين لأنهم أبدا مشدودون إلى الثروة التى كانت دائما محتقرة عندى».

إن الذين يقومون بالعجائب الآلهية ليسوا بحاجة إلى الأضاحى أو السحر الذى يستعمله سحرة الفئة السفلى. لم يحدث أن قرأنا أن المسيح أو كريشنا أو شردى ساي بابا استعملوا شعائر التنترات أو أنهم انشدوا المنترات. فقد تجاوزوا الحاجة لمثل هذه المعادلات،

الإرادة الروحية فيهم كانت القوة الخلاقة. مثل هذه الإرادة هى بشرية وآلهية فى آن. هى بشرية بمعنى أن جميع الناس يمتلكون إمكانياتها، لكن أكثر ما يعتبره الناس «إرادة» ينحصر فى رغباتهم الشخصية المعلنة منها والمكتومة. فقط عندما تزال جميع الرغبات الأنانية، فقط عندما تجلى هذه الرغبات كما تجلى الأوساخ عن الأوانى، ويرى الإنسان نفسه واحدا مع الله، عندها فقط تشع وتبرز الإرادة الروحية الحقيقية. وهذه لكونها آلهية، فهى تمتلك القوة والسيطرة على عوالم المادة.

لكن هذا لا يعنى أن مثل هذه الإرادة المستنيرة لا تلجأ أحيانا إلى كائنات من عوالم أخرى لتنفيذ رغباتها. يقول ابنموسر، الذى درس وبحث هذه المسائل بعمق، إنه بينما فى النوع السفلى من السحر تعتمد العمليات بشكل تام تقريبا على الأرواح العناصرية، فى النوع الأسمى منه «يعمل الإنسان بصورة رئيسية من خلال قوته الفطرية، لكن ليس دون مساعدة الأرواح العناصرية».

من الطبيعى أن تكون قوى العوالم الأخرى التى ينظمها «الأفاتار» بواسطة إرادته النقية، من النوع الأسمى – ليست عفاريت، أو أرواحاً شريرة مدرجة على جدول رواتب الساحر – وليس هناك خطر من أن يقوم أى عميل غير مرئى بإيذاء الساحر الأبيض العظيم أو بالتخلى عنه، فهو يتمتع باحترام عميق من قبل العملاء العلويين، ويتمتع كذلك باحترام وخشية السفليين، سوا كانوا غير بشر أو بشر غير متجسدين.

إن مجاراة محللو السحر فى قولهم إن هناك كائنات من عالم

آخر ذكية نسبياً تطيع صانع المعجزات وتنفذ أوامره ليست إهانه لمفهوم القانون الطبيعى. ليس من شك فى أن الكون يعمل طبق مخطط متناسق ومتناغم. كذلك يصح القول إن الإنسان من خلال الملاحظة الدقيقة والتفكير، تمكن من وضع بعض تعميمات يدعوها قوانين الطبيعة. لكن مثل هذه التعميمات لا تفسر إطلاقا الظواهر تفسيرا تاما. الزمن يأتى بتعميمات أخرى، تكون أقرب إلى الحقيقة النهائية. وهذه تبتلع «القانون» القديم - تبين إنه إما غير صحيح أو أنه فهم جزئى للحقيقة.

إن تعاليم علم السحر كما وردت فى كتاب مدام بلافاتسكى «The Secret Doctrine»، وفى أعمال لها أخرى، تقول إن كائنات حية أصغر من الذرة - محجوبة عن الرؤية كما هو حال الذرة بالنسبة للعين البشرية - تلعب دورا فى أعمال الطبيعة. لكن مثل هذه الكائنات لا تعمل حسب أهوائها وأمزجتها بل ضمن ذلك التناغم المتناسق الذى يشمل أعمق قوانين الكون وتساعد على تنفيذه. وصانع العجائب لا يحول مثل هذه الكائنات عن عملها الشرعى ليجعل منها خارجة عن القانون. إنها، وبفعل إرادته، تأتى بنتائج مدهشة، لكن يبقى عملها هذا متوافقا مع القانون - ولو أنه قانون أعمق مما استطاع الإنسان كشفه حتى الآن».

لو تأملنا مثلا، فى المعجزة المذهلة التى تنتج عن تحويل مادة ما إلى مادة أخرى لربما توصلنا إلى فهم هذا المبدأ فهماً بسيطاً. الاعتقاد السائد هو أن المادة بأكملها تنبثق عن الطاقة وأنه يمكن إعادتها ثانية إلى طاقة. هكذا، فإن العملية العجائبية هى فى تحويل

نوع معين من المادة إلى شكلها الطاقى الأساسى وإعادة تركيب مادة أخرى منه.

فى يومنا الحاضر، تمكن الإنسان من تحويل نوع معين من المادة إلى أخرى دون الحاجة لتحويلها إلى طاقتها النووية الأساسية. فمثلاً، فى المجمعات الصناعية حيث تصنع المواد الكيميائية يفكك الإنسان المواد الطبيعية، كالفحم والبترول إلى عناصرها المكونة من كربون وهيدروجين ويستعملها لبناء نوع من المادة مختلف تماما ومجهول من الطبيعة - مثل مواد بلاستيكية وألياف اصطناعية. وهكذا، فالذى كان كومة فحم أو برميل بترول يصبح ثوبا من النايلون أو كيسا بلاستيكيا.

إذن لم لا يكون فى مختبرات الطبيعة المحتجبة عمال قديرون على مثل هذا، أو حتى على عمليات أصعب من التفكك والتحويل؟ .. ويتحول الماء إلى نبيذ فى حفلة زفاف فى فلسطين القديمة، أو إلى زيت فى مصابيح الجامع فى شردى، مثل هؤلاء العمال - أرواح فى مختبر الطبيعة - يعملون طبقا للقوانين الكونية، وهم لا يستطيعون تجاوز هذه القوانين أكثر من «سحرة» الكيمياء الحديثة. غير أن القوانين المنظمة لعملهم أعمق من التى نعرف حتى الآن. طبقاً لهذه القوانين، ودون إفساد لتناغم الطبيعة، لماذا لا يكون بمقدورهم تحويل المعادن البخسة إلى ذهب، عندما يتم ذلك بإرادة كيميائى عظيم ليس له أية رغبة شخصية بالذهب، بل يستعمله فقط لخير إخوانه البشر؟

إذا أخذنا بوجهة النظر هذه، نرى أن معجزات المسيح - أو معلم

عظيم فى أى عصر من العصور، ليست فى الحقيقة بعيدة عن التصديق أكثر من المعجزات اللامتناهية التى تحيط بنا، أبداً - «العوالم المرصعة بالنجوم، مهرجان الحياة، عمليات النمو والتكاثر».

إن فهما كاملاً لطريقة عمل المعجزات هو بلا شك فوق مستوى الوعى البشرى فى مرحلة تطوره الحاضر. لكن محاولة حل مثل هذه الأسرار لابد أن تقودنا إلى فهم أكمل لذواتنا وللعالم العجائبى المحيط بنا.

أول معرفتى بالشخصية الغريبة الآسرة المعروفة باسم ساي بابا شردى كانت من خلال كتاب من تأليف كاتب إنجليزى، نشر فى إنجلترا. بعدها اكتشفت المزيد عن صانع المعجزات الآلهى هذا من خلال كتابات أخرى شملت سيرة حياته فى أربعة أجزاء كتبها ب. ف. ناراسيمها سوامى. لكن فى أول قراءة لى عنه شعرت باضطراب فى أعماقى، كأنما أحدهم شد حبلا متصلا بلباب ذاتى فى الأعماق. لم أدرك معنى ذلك.

بعد سنوات من حياة ساي بابا مع معلمه المسلم الفقير أو لأسباب أخرى. انتقل ساي بابا إلى عهدة موظف فى سيلو (Selu) يدعى غوبال راو. لم يكن هذا الرجل الاستثنائى ثريا ومتسامحا فحسب، بل ورعا مثقفا وتقيا جداً. كان قديسا محاربا ذا قوى دنيوية وروحية.

عندما رأى ساي بابا الشاب لأول مرة يقال إنه رأى فيه تقمصا للقديس العظيم كابير. لذلك كان غوبال راو سعيدا لوجود الفتى فى منزله كرفيق دائم يشارك فى نشاطات البلاط والحقل والمعبد.

هكذا، تلقى الفتى من غوبال راو، معلمه الثانى، تدريبا وثقافة على أعلى المستويات، ولو أنها لم تكن من النوع الكتبى.

لكن بعد مضى بضع سنوات قرر القديس – المحارب أنه قد حان الوقت كى يغادر الأرض. وفقا لذلك، وفى الوقت الذى حدده هو لرحيله، جلس وسط زمرة من المتدينين وهم يقومون بشعائر العبادة، وبقوته اليوجية الذاتية غادر جسده. لكنه قبل أن يفعل ذلك أشار نحو الغرب وطلب من الفتى ساي بابا أن يرحل فى هذا الاتجاه نحو مقره الجديد.

رحل ساي بابا غربا فوصل فى آخر الأمر إلى قرية شردى فى ولاية بومباى آنذاك. لم يلق ترحيبا حسنا أول الأمر هناك. فقد وصل بادئ ذى بدء إلى معبد هندوسى فى ضواحى الضيعة. راقه هدوؤه الوحدانى وأراد أن يسكن فيه. لكن الكاهن المسئول عن المعبد لم يسمح له بوطء عتبته، اعتقادا منه أنه مسلم.

لذلك، اتخذ بابا له مسكنا مؤقتا عند جزع شجرة مارغوزا. وقد رحل عن شردى ثم عاد إليها عدة مرات، وحين استقر فيها نهائيا عام ١٨٧٢ اتخذ مسجداً خربا فى شردى مسكنا له. هنا كان يحتفظ بالنار متقدة بصورة مستمرة بينما كانت مصابيح الزيت تنير داخل المسجد طوال الليل. كانت هذه العادة شائعة عند الهندوس والمسلمين على حد سواء، انطلاقا من الاعتقاد بأن أماكن العبادة ينبغى أن تبقى مضاءة خلال الليل.

أدرك بعض الأشخاص صفات ساي بابا المقدسة فجاءوا يقدمون له الولاء والاحترام (بين أوائل القادمين كان الكاهن الذى كان قد

طرده من المعبد الهندوسى). لكن أكثر سكان القرية اعتبروه فقيرا مجنوناً غير ذى شأن. وتمشيا مع عادة الرجال المقدسين فى الهند، فقد اعتمد بابا على تسول الحسنات فى غذائه وفى حاجاته المادية الأخرى. حاجته هذه كانت قليلة، لكنه كان بحاجة دائمة للزيت لإنارة المصابيح. ذات ليلة قرر صاحب الحانوت الذى كان يزوده بالزيت، اعتماد الكذب فأنكر وجود زيت لديه. ربما كانت تلك مزحة قصد منها الترفيه عن متسكعى القرية. على كل حال، فقد تبعت جماعة من هؤلاء، وكذلك بائع الزيت، تبعوا الفتى الفقير المجنون إلى جامعه كى يروا ماذا عساه يفعل بدون الزيت، وربما كى يسخروا منه أيضاً.

يحتفظ عادة فى الجوامع بجرار ماء كى يغسل الناس أقدامهم قبل دخول الفناء المقدس. عند الغسق رأى الناس بابا وقد أخذ ماء من الجرار وسكبها فى مصابيحه ثم أشعل المصابيح فأضاءت واستمرت مضاءة، فأدرك المراقبون أن الفقير حول الماء إلى زيت، فخروا عند قدميه وقد أخذهم الهلع وابتهلوا إليه ألا يلقى عليهم باللعنة بسبب تصرفهم حياله.

لكن بابا لم يكن على ما كانوا يعتقدونه هم. لم يكن ساحرا يغتاظ لازدرائهم إياه وينتظر فرصة الانتقام منهم. طبيعته كانت محبة صافية، فعفا عنهم وراح يعلمهم.

كانت تلك أول أعجوبة يقوم بها بابا أمام الجماهير، وكانت هى عود الثقاب الذى أشعل النار التى أصبحت منارة تجذب آلاف الناس من بعيد. كثيرون منهم أصبحوا أتباعا له. كان يستعمل قواه العجائبية

لشفاء أمراضهم، لمساعدتهم فى حل مشاكلهم اليومية، لحمايتهم من المخاطر حيثما تواجدوا ولجذبهم إلى طريقة حياة روحانية.

كثيرون منهم وجدوا أن معنى القيم عندهم قد تغير. بعضهم سلموا أنفسهم تماما للإرادة الآلهية التى كانوا يرونها فى بابا، فتخلوا عن حياتهم الدنيوية وجاءوا ليعيشوا بالقرب منه فى شردى كتلاميذ. علمهم ساي بابا ما يتلاءم مع حاجاتهم وطاقاتهم. بعض العلماء المثقفين روحيا والذين اعتقدوه أميا وجدوا أنه بإمكانه التحدث فى الفلسفة الروحية وتفسير الكتابات المقدسة الهندية بعمق أكبر وبوضوح أكمل من أى آخر عرفوه على الإطلاق. كان دائما يقود تلاميذه على خط البهاكتى، طريق المحبة الآلهية المشعة، وتسليم الذات، والعبادة.

كانت الرعاية النابعة من محبته لأتباعه هى الحافز المسيطر على أعمال بابا. وقد أقر الكثيرون بأنهم كانوا يشعرون دائما بالصفاء والسمو فى حضرته، كما كانوا ينسون قلقهم وآلامهم وهمومهم ويشعرون بأمان تام، فكانت الساعات تمر وهم فى غبطة وسعادة، فلا يشعرون بها.

كتبت سيدة زرادشتية من أتباع بابا تقول: «إن القديسين الآخرين ينسون أجسادهم وبيئاتهم ثم يعودون إليها، لكن ساي بابا كان موجودا دائما داخل وخارج العالم المادى فى آن معاً، كما أن الآخرين يعانون ويبذلون جهدا فى قراءة أفكار الآخرين أو فى إعلامهم عن حياتهم الماضية، لكن ساي بابا لم يكن بحاجة لبذل أى جهد. فقد كان دائماً فى حالة «الكلى العلم».

نقرأ فى المجلدات التى كتبت عنه وعن تعاليمه العديد من القصص الطريفة والمسلية والمنيرة، لكننا هنا سنذكر بعضا منها. من أهداف إشعاله النار فى المسجد بصورة دائمة كان التزود بالرماد، وكان هذا الرماد يسمى اودى (UDI)، وكان يستعمله لأغراض عجائبية عديدة، خاصة شفاء المرضى. والعجائب التى كان يقوم بها كانت تشمل القوى الفوق - اعتيادية بأكملها كالتى تضمنتها الكتابات الروحية واليوغية الكلاسيكية. وكثيرا ما برهن لأتباعه أنه عليم بما يفكرون ويقولون ويعملون، حتى عندما يكونون على بعد مئات الأميال منه.

غالباً ما كان يحضر حيث كانت تدعو الحاجة، إما بشكله المعروف أو فى جسد آخر - متسول، ناسك، عامل، كلب، هر - أو أى شكل أخر. هناك إثباتات كثيرة على أنه كان يطلق نفسه فى الفضاء ويأخذ أى شكل يختار. المقربون من أتباعه الذين كانوا فى وضع يمكنهم من معرفته معرفة حقيقية لم يكن لديهم أدنى شك حول هذه النقطة.

منح بابا رؤى لكثير من الناس مثل البراهمى الكبير الذى كان يتردد فى دخول المسجد، فقد بدا له ساي بابا من خارج المسجد على صورة الآله الذى كان يعبد، أى الآله راما. كانت رؤياه هذه لراما مقنعة لدرجة أنه هرع فدخل المسجد وسجد عند قدمى بابا. نوع أخر من معجزاته كان يتمثل فى منحه الحماية عن بعد - حماية من الحوادث، الأوبئة، الحظ السيئ، والموت الوشيك، وكذلك منحه للعقيم الذى حرم من الذرية وكانوا يتمنون ولدا، وظهوره فى الحلم ليؤدى نصيحة ويساعد فى حل المشاكل.

كان بإمكان بابا طرح الأرواح الشريرة من الملبوسين، وشفاء أشد الأمراض هولا، كالكفاف والشلل الارتجافى والبرص. فمثلا سمح لرجل يدعى باغوجى كان يعانى من حالة برص متقدمة، إن يغسل له قدميه. خشى الناس أن ينتقل المرض إلى بابا، لكن على العكس من ذلك شفى باغوجى من مرضه تماما ولم يبق منه سوى آثار القروح.

حوالى نهاية القرن الماضى وبالرغم من وسائل الاتصالات البدائية فى الهند آنذاك، طارت شهرة بابا بسرعة عظيمة، وقد بلغت أوجها عام ١٩١٠، حين بدا دفق لامتناهى من الزائرين يفد من بومباى ومن مناطق أخرى. وبدأت تفرض على القديس العجوز البسيط والبعيد عن التكلف، مظاهر الأبهة والفخامة، فكان يراعى مشاعر أتباعه ويذهب فى موكب زاه كبير متنقلا فى الشوارع جالسا فى عربة من فضة تقودها خيول مطهمة وفيلة وقد أثقل بالجواهر.

يقال إن بابا لم يكن ميالا لمثل هذه العروض، لكنه كان يذعن مرضاة للناس. غير أنه، وبالرغم من المعاملة الملكية والثروات التى قدمت له، استمر فى استجداء طعامه كحسنة كما كان يفعل فى الماضى، ربما كان يفعل ذلك كى يظهر أنه أكثر ما يكون التواضع ضروريا عندما تجاهد الثروة والأبهة والسلطة لغواية نفس الإنسان.

عندما توفى ساي بابا فى شردى عام ١٩١٨، كان لديه من المال ما يكفى لدفنه فقط. هناك تقليد متبع فى الهند لا يحرق بموجبه

العارف بالله بل يدفن. لذلك فقد وافق جميع أتباع بابا على أن يدفن، لكنهم اختلفوا على طريقة دفنه. فكما حصل عندما توفى كابير قبله بقرون، ادعى كل من الهندوس والمسلمون من أتباعه الحق فى دفن الجسد كل فريق حسب شعائر دينه، فغلب الهندوس لكونهم أكثرية. لكن بفضل حكمة ودبلوماسية السيد هـ. س. ديكسيت قدمت تنازلات مرضية لأتباعه من المسلمين. وقد أصبح قبر ساي بابا فى الجامع الذى عاش فيه ما يزيد على الأربعين عاماً، وحيث ما تزال النار المقدسة مشتعلة وكذلك مواقع أخرى لها علاقة ببابا شردى، جميعها أصبحت قبلة يقصدها آلاف من الحجاج – هندوس، مسلمين، زرادشتيين، بوذيين، ومسيحيين.

الفصل الرابع

معجـــــزات الرمـــــاد

الرمــاد:

من المعروف أن ساي بابا كان يتسول النقود من الجميع وكان يصرف بما يجمعه على الصدقات وشراء الوقود. وكان يضع هذا الوقود فى مصباح تظل ناره موقده والرماد المتخلف من الاحتراق كان يسمى أودى، كان يوزع مجانا على المريدين عند وقت رحيلهم من بلدة شردى.

ماذا كان ساي بابا يُعلم بهذا الرماد؟ كان ساي بابا يُعلم بهذا الرماد أن كل الظواهر المرئية فى الكون انتقالية مثل الرماد. فأجسادنا مكونة من عناصر خمسة، وسوف تسقط وتتحلل إلى تراب يشبه الرماد ومن ثم لكى يذكر ساي بابا مريديه أن أجسادهم سوف تختزل وتتحول إلى رماد فى النهاية، كان يوزع عليهم الرماد المتخلف من الاحتراق. وكان ساي بابا يعلم بالرماد أن الله هو الحقيقة الباقية وأن الكون انتقالى، ولا أحد فى هذا العالم سواء ابن أو أب أو زوجه ملكنا. لقد جئنا إلى هذه الدنيا منفردين وسوف نعود منها منفردين. وهذا الرماد الذى كان يوزعه ساي بابا كان يشفى من كثير من الأمراض الفيزيقية والعقلية، ولكن ساي بابا كان يردد فى آذان مريديه مبدأ التمييز بين غير الحقيقى والحقيقى.

كان يعلمهم عدم التعلق بغير الحقيقى باستخدام هذا الرماد وما يجمعه من صدقات. هذا الرماد يعلمنا التمييز والصدقات تعلمنا عدم التعلق بالمال. وبدون التمييز وعدم التعلق يستحيل علينا أن نعبر بحر الوجود بسلام. ومن هنا كان ساي بابا يطلب الصدقة من مريديه وعند رحيلهم كان يوزع عليهم الرماد للتبرك بمسحه على جباههم. وعندما كان ساي بابا فى حالة مرحه كان يغنى، وكانت إحدى أغانيه عن الرماد.

وعلاوة على البعد الروحى للرماد، كانت له أهمية مادية ملموسة. لقد كان الرماد يحمل فى طياته الصحة والنجاح والتحرر من القلق، وكثيرا من المزايا الدنيوية، ولذلك كان هذا الرماد يساعد فى جلب مزايا من الجانبين المادى والروحى كما سيأتى فى القصص التالية:

لدغة العقرب

نارايان جانى من بلدة نازك ذهب فى أحد الأيام إلى بلدة شردى مع أمه وشاهد ساي بابا، فأصبح مريدا له بعد هذا اليوم. وفى إحدى المرات لدغ عقرب أحد أصدقائه وكان الألم الناتج من هذه اللدغة شديدا جدا ولا يحتمل. فى مثل هذه الحالات يعتبر رماد ساي بابا الأعظم فاعلية إذا وضع على مكان الألم، فأخذ نارايان يبحث عن الرماد ولكن لم يعثر عليه. فوقف أمام صورة ساي بابا وأخذ يطلب مساعدته، ظل يردد اسم ساي بابا ثم أخذ بأصبعه حفنة من رماد عود بخور كان يحترق أمام صورة ساي بابا ووضعه فوق مكان اللدغة والألم، وبمجرد أن سحب أصبعه اختفى الألم.

حالة جدرى

مريد من بلدة باندرا علم أن ابنته التى كانت تقيم فى بلدة أخرى قد أصيبت بمرض الجدرى. ولم يكن معه رماد، فأرسل إلى صديقه «نانا صاحب» لكى يرسله إليه. كان «نانا صاحب» مسافرا مع زوجته إلى مدينة كاليان ولم يكن معه رماد عندما تلقى الرسالة، فأخذ حفنة من تراب فى الطريق وأخذ يفكر فى ساي بابا مرددا اسمه ثم وضع حفنة التراب على جبهة زوجته. وهنا شعر المريد بالفرحة عندما علم أن ابنته التى كانت تعانى من الحمى ثلاثة أيام قد بدأت حالتها تتحسن فى اللحظة التى طلب «نانا صاحب» النجدة من ساي بابا.

حالة أخرى

فى عام ١٩٠٤ كان نانا صاحب فى بلدة جامنير وهى على بعد ١٠٠ ميل من مدينة شردى. وكانت ابنته حاملا وحالتها حرجة وتعانى من آلام شديدة فى الثلاثة أيام الأخيرة من الوضع، ولم تجد معها أية علاجات، وفى حالة يأس تذكر نانا صاحب ساي بابا فأخذ يردد اسمه طالبا العون. فى ذلك الوقت استدعى ساي بابا أحد مريديه ويدعى رام جيرلو وكان على وشك العودة لبلدته، وطلب منه التوقف فى بلدة جامنير فى طريقه وأعطاه بعض الرماد ليعطيه إلى نانا صاحب، فقال المريد رام جيرلو لساى بابا إنه ليس معه إلا بضع روبيات تكاد تكفى سفره بالسكة الحديد إلى بلدته التى تقع على بعد ٣٠ ميلاً من بلدة جامنير. وهنا أكد ساي

بابا له أن لا يحمل هم ذلك وأن كل شىء سيكون ميسرا. ثم أعطاه بعض الرماد ليسلمه إلى نانا صاحب. وكله ثقة فى كلمات ساي بابا، ترك رام جيربو مدينة شردى وسافر بالقطار ليصل جالجون الساعة ٢،٤٥ فجراً. ولم يكن معه إلا القليل من النقود. وفجأة سمع شخصاً ومعه عربة تونجا يجرها جوادان ينادى اسمه قائلاً «من هو رام جيرلو من بلد شردى؟» فذهب إليه وأخبره أنه هو ذلك الشخص. وهنا قال صاحب عربة التونجا إن نانا صاحب أرسله إليه فركب معه وانطلقت عربة التونجا بسرعة حتى وصلت إلى مكان ما. وقاد صاحب التونجا الجوادين لكى يشربا، ثم طلب من رام جيرلو أن يشاركه طعاماً معه أرسله إليه نانا صاحب. وبعد تناول الطعام استأنفنا السفر حتى وصلا إلى بلدة جامنير فجرا. ثم استأذن رام جيرلو من صاحب التونجا لكى يقضى حاجته. فذهب وعندما عاد بعد بضع دقائق لم يجد أثرا للتونجا ولا لسائقها. فتوجه إلى بيت نانا صاحب وأعطى نانا صاحب الرماد. وفى ذلك الوقت كانت ابنة نانا صاحب فى حالة حرجة وخطيرة والجميع فى قلق بالغ. تناولت الابنة الحامل الرماد مع بعض الماء وتمكنت من الولادة بيسر وتخطت مرحلة الخطر. وعندما تقدم رام جيرلو بالشكر إلى نانا صاحب لإرساله عربة التونجا والطعام استغرب الأخير قائلاً إنه لم يرسل أحداً إلى محطة جالجون.

حالة سل عظام

فى بلدة ماليجون (إقليم نازيك) كان يعيش طبيب أصيب ابن شقيقه بسل عظام لا يمكن شفاؤه. وقد حاول الطبيب وجميع

زملائه جميع أنوع العلاجات وحتى الجراحة بلا جدوى، وطلب الأصدقاء والأقارب من والدى الصبى المريض أن يأخذاه إلى ساي بابا، والذى كان معروفا بشفائه الأمراض المستعصية بمجرد نظرة منه. توجه الوالدان إلى بلدة شردى ووضعا ابنهما المريض أمام ساي بابا وناشداه أن ينقذ ابنهما. فطمأنهما ساي بابا قائلا: «هؤلاء الذين يلجأون إلى هذا المسجد لن يعانواْ من أى شئ حتى نهاية حياتهم. لا تقلقوا. ضعوا الرماد على مكان الإصابة بسل العظام، وخلال أسبوع سيشفى الصبى المريض. وثقوا فى الله .. من يأتى إلى هنا سيحصل على الصحة والسعادة وتنتهى معاناته». أجلس الوالدان أبنهما أمام ساي بابا الذى حرك يديه على المكان المصاب وشيع بنظراته الحانية الابن المصاب الذى شعر بالبهجة والسرور وبوضع الرماد على المكان المصاب بدأ الصبى يتعافى وفى خلال أيام قليلة شفى تماما. وبعد ذلك ترك الوالدان بلدة شردى مع ابنهما بعد أن شكرا ساي بابا لعلاج ابنهما بالرماد ونظراته المباركة.

عندما علم بذلك الطبيب المعالج (عم الصبى المصاب) أصيب بالدهشة والذهول وشعر برغبة شديدة لرؤية ساي بابا، وخلال رحلته إلى بومباى لأداء مهمة فى بلدة ماليجون إذا بشخص يسمم أذنيه بكلام ضد ساي بابا، فقرر العدول عن الذهاب إلى بلدة شردى وذهب مباشرة إلى بومباى. وفى بومباى سمع صوتا على مدى ثلاث ليال متعاقبة يقول له: «أنت مازلت لا تعتقد فى؟». فغير الطبيب رأيه وقرر الذهاب إلى بلدة شردى. فى ذلك الحين كان الطبيب يحاول علاج حالة حمى لمريض فى بومباى ولا توجد أى بادرة

لشفائه. فقرر الطبيب تأجيل رحلته إلى بلدة شردى وهنا طرأت فكرة فى ذهن الطبيب فخاطب نفسه قائلاً : «إذا تعافى المريض اليوم فسوف استأنف رحلتى إلى بلدة شردى غداً». وبمجرد أن جال هذا الحوار فى نفسه بدأت حمى المريض تتحسن وتنخفض حرارة جسمه، فذهب الطبيب إلى بلدة شردى حيث قابل ساي بابا الذى أعطاه بعض الإمارات التى جعلته مريدا له.

دكتور بيلى

كان دكتور بيلى مريدا لساى بابا الذى كان يحبه كثيرا ويدعوه (بالأخ). كان ساي بابا يتحدث معه من حين لآخر وكان يحب أن يكون بجانبه دائماً. وفى إحدى المرات أصيب دكتور بيلى بديدان فى رجله، وفى إحدى المرات قال لزميله ديكسيت كاكا صاحب : «إن الآلام شديدة ومبرحة ولا يمكن تحملها وإننى أفضل الموت على البقاء بهذا الحال. أرجوك اذهب إلى ساي بابا واطلب منه أن يوقف هذه الآلام». ذهب ديكسيت إلى ساي بابا ونقل إليه رغبة زميله. فقال له ساي بابا: «قل لزميلك ألا يخاف .. فى خلال عشرة أيام ستنتهى آلامه. إننى بوجودى هنا أمنحه الثراء الروحى، لماذا يصلى طلبا للموت؟ انقله إلى فوق ظهر شخص ما ودعنا نعمل لإنهاء معاناته نهائياً».

تم نقل الدكتور بحالته المرضية وتم جلوسه على يمين ساي بابا الذى أعطاه وسادة. وقال له «ارقد هنا بهدوء وخذ راحتك.. إن أعمالنا السابقة هى التى تتسبب فى سعادتنا وأحزاننا .. أين الله؟ إن الله هو الشافى، وهو الحافظ، فكر فى الله دائما وسوف يرعاك، سلم

جسدك وعقلك لله وسوف ترى ما سوف يفعله». أجاب دكتور بيلى إن زميله ديكسبت نانا صاحب قد وضع رباطا فوق رجله المصابة ولكنه لا يشعر بأى راحة. فأجابه ساي بابا قائلا: «إن نانا أحمق .. انزع الرباط وإلا فسوف تموت. والآن سوف يأتى طائر وينقرك وبعد ذلك سوف تشفى».

وخلال هذا الحوار، كان عبد الله الذى كان ينظف المسجد ويضىء المشاعل به، منهمكا فى أعمال النظافة، وفجأة داست رجله عفويا فوق رجل دكتور بيلى الممتدة على الأرض .. كانت الرجل متورمة وعندما سقطت رجل عبد الله فوقها وضغطت عليها برزت منها سبع ديدان فى الحال. كان الألم لا يطاق وصرخ دكتور بيلى بصوت عال .. وبعد فترة هدأ روعه ثم أخذ يغنى ثم يصيح بالتتالى.

وهنا قال له ساي بابا «ألم تلاحظ النقر فى رجلك إنها لن تأتى مرة أخرى .. والآن اذهب واسترح فى مكان الوضوء فى المسجد وسوف تكون على ما يرام». وبوضع الرماد على مكان الإصابة وبتناوله مع الماء فى الفم وبدون أى علاجات أخرى أو دواء شفى المرض تماما فى خلال عشرة أيام طبقا لتأكيدات ساي بابا.

حمى الطاعون

فى أحد المرات هاجم الطاعون زوجة أخى شاما المدعو باباجى .. فأصيبت الزوجة بحمى شديدة وطفح فوق الفخذين وظهرت لديها فقاعتان. هرع باباجى زوجها إلى شقيقه شاما مذعورا .. وطبقا للتقاليد .. ذهب شاما إلى ساي بابا طالبا عونه لعلاج هذه الحالة .. وطلب السماح له بالذهاب إلى منزل شقيقه.. فأجابه ساي بابا: «لا تذهب فى هذه الساعة المتأخرة .. أرسل لهما هذا الرماد ..

لماذا تولى اهتمامك بالحمى وظهور الفقاقيع؟ إن الله مولانا، وزوجة أخيك سوف تشفى. فلا تذهب الآن .. اذهب فى الصباح ثم عد سريعاً».

كان شاما لديه ثقة كاملة فى رماد ساي بابا .. فأعطاه لشقيقة باباجى الذى هرع به إلى زوجته المريضة ليضعه فوق الفقاقيع، ثم خلط بعضا منه بالماء وجعلها تشربه. وبمجرد فعل ذلك هدأت الحمى لدى الزوجة ونامت نوماً هادئاً. وفى الصباح اندهش زوجها باباجى حين رأى زوجته وقد شفيت من الحمى واختفت الفقاعات، وعندما ذهب شاما فى الصباح إلى منزل أخيه بإذن من ساي بابا اندهش عندما رأى زوجة أخيه فى المطبخ تعد الشاى. وبسؤال أخيه، أخبره أن رماد ساي بابا قد شفاها تماما فى ليلة واحدة. وهنا تحقق شاما من صدق كلمات ساي بابا له: «اذهب فى الصباح ثم عد سريعا».

وعندما تناول الشاى، عاد شاما وبعد أن قام بتحية ساي بابا قال له: «ما هذه الألغاز؟ أنت تثير زوبعة وتجعلنا مضطربين ثم تهدئ الزوبعة وتجعلنا مستريحين» فأجابه ساي بابا: «أنت كما ترى إن ألغازى هى طريق العمل. بالرغم أننى لا أفعل شيئاً.. إلا أننى شاهد على هذه الألغاز .. إن الله هو الفاعل .. وهو الرحيم .. إننى لست أنا الله ولست أنا المعلم .. ما أنا إلا خادم الله المطيع الذى يذكر اسم الله دائماً. من ينزع عنه الأنانية ويشكر الله .. ومن يثق تماما فى الله ستنتهى جميع مشاكله ويحوز على حريته من أسر هذه الدنيا».

حالة صرع

كانت شقيقة الشاب إيرانى تعانى من حالة صرع مرضية

يصاحبها قيء وفقدان القدرة على الكلام مع تقلصات فى أطرافها والسقوط فاقدة الإحساس .. ولم تستجب لأى علاجات. وأشار صديق لوالدها باستخدام رماد ساي بابا وطلب منه أن يحصل عليه من مريد ساي بابا ديكسيت كاكا صاحب فى أحد ضواحى بومباى. قام الشاب إيرانى بالحصول على الرماد وخلطه بالماء وناوله لشقيقته لشربه. فى البداية تحول مجيء التقلصات من كل ساعة إلى كل سبع ساعات، وبعد أيام قليلة شفيت شقيقته تماما.

حالة حصوة فى الكلى

كان هاردا يعانى من حصوة فى الكلى .. وهذه الحصوات كان يتم إزالتها بعمليات جراحية، وقد أشاروا عليه بإجراء هذه الجراحة. كان هاردا رجلا مسنا وضعيفا ولم يفكر فى إجراء مثل هذه الجراحة. وقد انتهت متاعبه الصحية بطريقة أخرى. فبتوصية من بعض الأصدقاء حصل على بعض الرماد من أحد مريدى ساي بابا وخلطه بالماء وشربه. وفى خلال خمس دقائق ذابت الحصوة وخرجت فى البول.

آلام عند الولادة

فى بومباى كان هناك امرأة دائما ما تعانى من آلام شديدة خلال عملية الوضع. وكانت تنتابها المخاوف عند حملها ولا تعرف ماذا تفعل. وقد أشار أحد مريدى ساي بابا على زوجها بالذهاب إلى بلدة شردى. وعندما حملت هذه المرأة ذهبت مع زوجها إلى ساي بابا واستقرت هناك بضعة شهور. وعندما جاءها الوضع وحدثت

كالمعتاد عرقلة فى الولادة وآلام مبرحة.. أخذت تتضرع طالبة بركات ساي بابا .. فقامت إحدى جاراتها بإعطائها الرماد مخلوطا مع الماء .. وفى خلال خمس دقائق وضعت المرأة مولودها بسلام وبدون ألم.

الفصل الخامس

معجـــزات الشـــفاء

حالة سل

فى عام ١٩٠٩ أصيب بهتماجى بمرض صدرى حاد ثم تحول إلى حالة مزمنة تطورت فيما بعد إلى حالة سل فى الرئتين. وقد حاول جميع أنواع العلاجات بدون فائدة. ومع فقدان الأمل توجه المريض بصلاته إلى الله لكى يشفيه.

من المعروف أنه عندما تكون ظروف الإنسان جيدة لا يتذكر الله وعند حلول المصائب عليه يتذكره. عندما توجه المريض بدعائه إلى الله .. أتاه خاطر أن يستشير نانا صاحب وهو مريد كبير لساى بابا، فكتب إليه خطاباً يشرح فيه كل تفاصيل مرضه وطالبا مشورته. فأجاب نانا صاحب بأن عليه أن يتوجه إلى ساي بابا. وطبقاً لمشورة نانا صاحب توجه بهتماجى المريض إلى بلدة شردى ودخل المسجد وتوجه إلى ساي بابا وتضرع إليه باكيا أن يشفيه. فلان قلب ساي بابا وقال له: «لا تقلق .. إن معاناتك ستنتهى .. ومهما كانت معاناة الإنسان وبمجرد أن يخطو إلى المسجد فهو فى طريقه إلى السعادة.. ساي بابا الفقير لله كريم جداً وسوف يعالج المرض ويشملك بالحب والرعاية». كان المريض فى العادة يقىء دما كل خمس دقائق .. ولكن القىء توقف فى حضرة ساي بابا. وبمجرد أن نطق ساي بابا بهذه العبارات تحسنت حالة المرض. ثم

طلب ساي بابا من المريض الإقامة فى أحد المنازل وكان هذا المنزل غير مريح وغير ملائم للإقامة. ولكن أوامر ساي بابا يجب أن تطاع. وخلال إقامة المريض فى هذا المنزل شاهد حلمين. فى الحلم الأول شاهد نفسه كصبى صغير يعانى من آلام حادة كالسياط نتيجة عدم حفظه مقطوعة شعرية فى الفصل. فى الحلم الثانى شاهد شخصا يسبب له آلاما شديدة بدحرجة حجر فوق صدره .. ومع معاناته بالألم فى حلمه تم شفاؤه تماما. بعد ذلك عاد بهيماجى إلى بلده. ومنذ ذلك الوقت كان يداوم المجىء إلى مدينة شردى وكله امتنان لساى بابا لشفائه من المرض. كان ساي بابا لا ينتظر أى مقابل من مريديه إلا أن يتذكروه بحب وإيمان به.

حالة ملاريا خبيثة

حالة أخرى لمريد آخر لساى بابا يدعى «بالا» كان يعانى من ملاريا خبيثة. وحاول جميع أنواع العلاجات بلا جدوى ولم تتوقف لديه الحمى فاندفع إلى بلدة شردى طالبا عون ساي بابا فوصف له وصفة تجريبية كالآتى: «أطعم كلبا أسود خليطا من الأرز مخلوطا بالكركم أمام معبد لاكسيمى. لم يعرف «بالا» كيف يعد هذه الوصفة وما إن وصل إلى منزله حتى وجد فيه الأرز والكركم. بعد خلطهما معا أخذ هذا الخليط متوجها إلى معبد لاكسيمى وهناك وجد كلبا أسود يهز ذيله وضع خليط الأرز والكركم أمامه. فأكلها الكلب وللدهشه تعافى بعدها «بالا» من الملاريا.

حالة كوليرا

داهم «بابو» إسهال حاد وقىء وتناول الكثير من الأدوية ولم يكن لأى منها أى تأثير. وأصيب «بابو صاحب» بإسهال شديد ولم يستطع الذهاب إلى المسجد لمقابلة ساي بابا الذى قام بإحضاره وجعله يجلس أمامه وقال له: «والآن انتبه لا يجب أن يصيبك الإسهال، ثم أشار إليه بإبهامه قائلا: «إن الإسهال يجب أن يتوقف» كانت لكلمات ساي بابا قوة سحرية وتوقف الإسهال وتحسنت حالته.

وفى مناسبة أخرى هاجمت الكوليرا «بابو» وأصابه حالة عطش شديد. وحاول دكتور بيلاى جميع أنواع العلاجات ولم تجد معه فذهب إلى ساي بابا واستشاره. فأشار عليه ساي بابا بخلطة مكونة من لوز وجوز كحقنة شرجية تغلى فى لبن محلى بالسكر. وتلك الوصفة كافية بإصابته بمضاعفات قاتلة طبقا لرأى أى طبيب معالج. وطبقا لأوامر ساي بابا تم إعطاء المريض هذه الحقنة الشرجية وللدهشة تم شفاؤه من المرض.

آلام مبرحة فى الأذن

رجل دين من بلدة الاندى كانت لديه الرغبة فى زيارة ساي بابا فى بلدة شردى. كان هذا الرجل يعانى من آلام مبرحة فى أذنه مما حالت دون نومه. كان الألم مبرحا ولم يعرف ماذا يفعل. وقبل عودته طلب المريد «شاما» من ساي بابا أن يفعل شيئا لإيقاف هذا الألم فقال ساي بابا : «إن الله سيفعل خيرا». رجع رجل الدين إلى بونا بلدته، وبعد أسبوع أرسل خطابا إلى ساي بابا يخبره بأن الألم قد خفت حدته. بالرغم من وجود ورم فى أذنه ولكى يزيله سافر إلى

بومباى لإجراء عملية، وبعد أن قام جراح الأذن بفحصه قال له إن العملية لا ضرورة لها.

حالة إسهال

مريد آخر يدعى «كاكا ماها جانى» أصيب بإسهال حاد. وحتى لا ينقطع عن خدمة ساي بابا احتفظ برماد به ماء فى ركن خارج المسجد، وكلما أتته الحاجة ذهب هناك ليقضى حاجته. وحيث إن ساي بابا لديه جلاء بصرى لم يخبره كاكا بمرضه وافترض أنه سيشفيه سريعا. كان العمل فى إنشاء رصيف أمام المسجد سيتم بإذن من ساي بابا وعندما بدأ العمل فيه انتابت ساي بابا حالة هياج وصاح بصوت عال، فجرى الجميع للخارج وعندما حاول كاكا الخروج أمسك به ساي بابا وجعله يجلس فى مكانه. وفى حالة الفوضى التى تلت ذلك ترك بعضهم بعض من البندق فأخذ ساي بابا حفنة منه وفركها فى يديه ثم تخلص من القشور وأعطى كاكا البندق المقشور وجعله يأكلها. وأكل ساي بابا بعضا منها، ثم طلب ساي بابا بعض الماء لشعوره بالظمأ فأحضر كاكا وعاء مملوءا بالماء شرب ساي بابا بعضا منه ثم جعل كاكا يشرب منه. بعد ذلك أعلن ساي بابا الآتى: «الآن يتوقف الإسهال ويمكن أن تشترك فى عمل الرصيف». فى ذلك الوقت عاد الأفراد الذين انطلقوا للخارج وبدؤوا فى العمل واشترك معهم كاكا. والسؤال هنا هل البندق علاج للإسهال؟ طبقا للرأى الطبى يتسبب البندق فى مضاعفات للإسهال وليس فى علاجه، ولكن العلاج وطبقا لحالات أخرى كان فى كلمات ساي بابا.

آلام المعدة

كان هناك شخص يدعى داتوبانت من بلدة هاردا يعانى من آلام فى معدته منذ أربعة عشر عاما ولم يجد معه نفعا أى علاج. وعندما ترامى إلى سمعه شهرة ساي بابا فى علاج الأمراض بالنظرة ذهب إلى بلدة شردى وارتمى على أقدام ساي بابا. فنظر ساي بابا إلى المريض بعطف وباركه بوضع يده فوق رأسه وأعطاه رمادا للتداوى. وسرعان ما تحسنت حالة المريض ولم تعاوده الآلام بعد ذلك.

فى جميع هذه القصص سنجد أن العلاج الحقيقى لهذه الحالات المرضية كان يكمن فى كلمات ساي بابا وبركاته وليست فى الدواء.

الفصل السادس

معجزات فى التجارة والإنجاب

المريد الذى يملأ قلبه حب لساى بابا يحوز حماية من الأخطار وتتحقق رغباته طبقا للقصتين التاليتين:

التجارة فى القطن

كتب سمسار فى بومباى إلى دامو يعرض عليه أن هناك فرصة فى تجارة القطن مربحه وأنه لا توجد مخاطر فى هذه المضاربة ولا يجب إضاعة هذه الفرصة. وحيث إن دامو كان مريدا لساى بابا كتب خطابا إلى شاما فى بلدة شردى سرد فيه جميع الحقائق وطلب منه مشورة ساي بابا استلم شاما الخطاب فى اليوم التالى وعندما ذهب فى المساء إلى المسجد ووضع الخطاب أمام ساي بابا. فسأل ساي بابا شاما ماذا فى الأمر وما هو فحوى الخطاب. فأجاب شاما بأن دامو يريد أن يستشيره فى شىء ما فقال ساي بابا: «ماذا كتب دامو فى الخطاب وماذا يريد؟ يبدو أنه يريد أن يصل إلى السماء ولا يبدو راضيا بما أعطاه الله له، اقرأ الخطاب»، فأجاب شامو «فحوى الخطاب هو ما قلته يا ساي بابا، أنت تجلس هادئا هنا وتثير المريدين وتجعلهم قلقين ثم تسحبهم إلى هنا إما بشخصهم أو تجعلهم يكتبون الخطابات. إذا كنت تعلم فحوى الخطاب لماذا إذن تطلب منى أن أقرأه؟» فأجاب ساي بابا: «اقرأ يا شاما الخطاب .. إننى اتكلم جزافا.. ومن يصدقنى؟. قرأ شاما الخطاب واستمع ساي بابا بانتباه

ثم قال: «إن دامو قد أصابه الجنون .. اكتب له ردا على خطابه بأن بيته لا ينقصه شيء .. ليكن قانعا بنصف الخبز الذى معه. ولا يعير نفسه اهتماما للملايين». أرسل شاما بهذا الرد الذى كان دامو فى انتظاره قلقاً .. وبعد قراءته .. وجد أن كل الآمال والأرباح المتوقعة بالملايين قد انتهت أرضا. وفكر أنه قد ارتكب خطأ باستشارة ساي بابا. وحيث إن شاما قد لمح فى خطابه أن هناك تباينا كبيرا فيما هو يرى وفيما هو يسمع. ومن ثم على دامو أن يحضر شخصيا إلى شردى ويرى ساي بابا. وقد فكر أنه من الأفضل أن يأتى دامو إلى شردى ويستشير ساي بابا شخصيا. ومن ثم ذهب دامو إلى شردى وشاهد ساي بابا وجلس بجانبه ولم تأته الشجاعة لكى يفاتحه فى الموضوع. وجال فى خاطره أنه من الأحسن أن يتقاسم أرباح مشروع القطن مع ساي بابا. كانت الأفكار تجول سرا فى عقل دامو ولكن لا يخفى بشيء عن ساي بابا. كل شيء الماضى والحاضر والمستقبل واضح له. ومن ثم قرأ ما يجول فى عقل دامو وتكلم بوضوح إليه قائلا: «أنا لا أريد أن أنخرط فى هذه الأشياء الدنيوية». وعندما علم دامو بعدم موافقة ساي بابا على مشروعه تخلى عن هذه الفكرة.

التجارة فى الأرز والقمح

فكر دامو فى التجارة بالأرز والقمح والحبوب .. وهنا قرأ ساي بابا أفكار دامو وقال له: «ستشترى بخمسة وتبيع بسبعة». وهنا تخلى دامو عن هذه التجارة. لقد ارتفعت أسعار الحبوب لفترة ما وبدت نبوءة ساي بابا غير صحيحة، ولكن فى خلال شهر نزلت أمطار غزيرة وهبطت الأسعار، ومن ثم كل من قاموا بتخزين الحبوب

الفصل السابع

الوصـول إلى الله

من يقرأ القصص التالية فى هذا الفصل يوميا بثقة وحب فسوف يتحرر بسرعة من جميع الكوارث، وسوف يكون دائما متصلا بساى بابا، ويحوز سريعا رؤيا ربانية وتتحقق كافة رغباته، وعندما يصبح فى النهاية بلا رغبات فإنه سوف يتحقق من الله الأكبر.

قصة دكتور بانديت:

ذهب دكتور بانديت إلى شردى لرؤية ساي بابا. وبعد أن قام بتحية ساي بابا جلس فى المسجد. طلب ساي بابا منه أن يذهب إلى دادابهات الذى أحسن استقباله. ثم ترك الأخير منزله لمقابلة ساي بابا وبصحبته دكتور بانديت. لم يجرؤ أحد خلال حياة ساي بابا أن يضع على جبهته دهان الصندل. غير أن دكتور بانديت أخذ من دادابهات إناء يحتوى على دهان الصُنْدل ورسم به ثلاثة خطوط عرضية على جبهة ساي بابا. ولدهشة الجميع التزم ساي بابا الصمت دون أن ينطق بكلمة واحدة. وفى المساء سأل دادابهات ساي بابا «كيف يحدث ذلك وأنت ترفض ذلك من الآخرين .. فى حين أنك سمحت للدكتور بانديت أن يفعل ذلك؟» فرد عليه ساي بابا بأن دكتور بانديت اعتقد أن ساي بابا مثل معلمه بورانيك الذى كان يفعل معه نفس الشيء، ومن ثم لم يعترض ساي بابا. وبالتحرى أخبر دكتور بانديت زميله دادابهات أنه تحقق أن ساي

بابا هو معلمه بورانيك وعلم على جبهته كما كان يفعل معه سابقا.

فى كثير من الأحيان كان لساى بابا تصرفات غريبة حيث كان يقذف بالآنية التى عليها دهان الصندل لأى شخص يحاول أن يضع علامات على جبهته، لذلك لم يجرؤ أن يقترب أحد منه. أحيانا كان ينهر المريدين، وأحيانا كان يبدو ناعما كالشمع ومثالاً للسلام والتسامح.

قصة الحج صديق

لم يكن أحد ليعرف متى يقبل ساي بابا مريدا له. كان يعتمد فى ذلك على إرادته. كان هناك رجل مسن مسلم يدعى صديق قام بعد أدائه فريضة الحج فى مكة وزيارة المدينة بالتوجه إلى بلدة شردى، وهناك أقام فى ساحة مسجد شردى.. ولمدة تسعة شهور كان ساي بابا يتجاهله ولم يسمح له بالدخول إلى مكانه. شعر الحج صديق بعدم الرضا ولم يعرف ماذا يفعل. ونصحه البعض أن يتقرب إلى ساي بابا عن طريق مريده القريب منه والمدعو شاما. استحسن الحج صديق الفكرة وطلب من شاما أن يتوسط له، وافق شاما وفى لحظة مناسبة قال لساى بابا «لماذا لا تسمح لهذا الحاج أن يقترب منك، فى حين أنك تسمح للكثيرين بالاقتراب منك. لماذا لا تبارك هذا الحاج ولو مرة واحدة. فرد عليه ساي بابا: «شاما أنت غير ناضج لتفهم الأشياء. إذا كان الله لا يسمح بذلك فكيف لى أن أفعل ذلك؟ بدون بركة الله من يستطيع أن يصعد إلى فى المسجد. حسنا اذهب إلى الحاج صديق واسأله إذا كان باستطاعته

المرور فى الممر الضيق المجاور لبئر بارثى»، ذهب شاما وعاد لساى بابا ومعه تأكيد من الحاج صديق بقبول ذلك. مرة أخرى طلب ساي بابا من شاما أن يسأل الحاج صديق إذا كان باستطاعته أن يدفع لساى بابا ٤٠,٠٠٠ روبية على أقساط أربعة.. ذهب شاما وعاد بموافقة الحاج صديق. ثم قال ساي بابا لشاما «سوف نذبح معزة فى المسجد.. اسأل الحاج صديق أى قطعة يريد؟، ذهب شاما ثم عاد بالإجابة بأن الحاج صديق سيكون سعيدا أن يأخذ قطعة صغيرة. وعند سماع ذلك استشاط ساي بابا غضبا وقذف بالأوانى من يديه ثم تقدم مباشرة إلى الحاج صديق رافعا جلبابه للساعدين قائلا : «لماذا تظهر نفسك أنك حاج كبير السن؟ هل تقرأ القرآن كالآتى؟ أنت فخور بالحج إلى مكة ولكنك لا تعرفنى». ارتبك الحج صديق، فاستدار ساي بابا للخلف واشترى سلة من المانجو وأرسلها إليه. ثم ذهب ساي بابا إلى الحاج صديق وأعطاه ٥٥ روبية. بعد ذلك أحب ساي بابا الحاج صديق ودعاه لتناول الطعام معه وسمح له بلقائه كيفما يشاء.

قصة سيطرة ساي بابا على العناصر

فى إحدى الأمسيات هبت على بلدة شردى زوبعة كبيرة. غطت السماء بسحب سوداء سميكة، وأخذت الرياح تهب بقوة عظيمة، وزمجرت السحب وأخذ البرق يضىء وانهمرت الأمطار بغزارة. وفى مدة قصيرة غرق المكان كله بالماء. جميع المخلوقات الطيور والوحوش والناس أصابهم الرعب والتجئوا إلى المسجد للحماية.. تحرك ساي بابا للخارج وخاطب الزوابع بصوت عال

مزمجر «توقفوا .. توقفوا وكونوا ساكنين!!». وفى بضع دقائق هدأت الأمطار وتوقف هبوب الرياح والزوابع. ثم بزغ القمر فى المساء، ورجع الناس إلى منازلهم فرحين.

فى مرة أخرى فى المساء بدأت النار فى الفرن تحترق بشدة وصعد اللهب إلى أعلى .. ولم يدر الناس الجالسون فى المسجد ماذا يفعلون. ولم يجرؤوا سؤال ساي بابا لكى يسكب ماء أو يفعل شيئا ليطفئ اللهب. فى ذلك الوقت أدرك ساي بابا ما يحدث وتناول عصاه ودفع بها فى النار قائلا «اهدئى .. كونى ساكنة» وكان فى كل ضربة من العصا تهدئة للهب وفى بضع دقائق هدأت النار وأصبح الفرن هادئاً.

الفصل الثامن

بعض من تعاليم ساى

الحق شاهد على ذاته، لا يتطلب شاهدا آخر كى يثبت أنه حق

سوامى فيفاكنندا

لا شك فى أن القراء الذين يودون الحصول على فكرة حول التعاليم الشفهية لرجل العجائب ساي بابا ذى القوى الآلهية. ليس من السهل إعطاء ولو لمحة عن هذه التعاليم الحيوية المشرقة ولو فى فصل كامل. لكن ما يساعدنى بعض الشىء هو أن مقولة «لا جديد تحت الشمس» تنطبق أيضا على التعاليم والفلسفات الروحية.

فمثلاً، موعظة المسيح على الجبل تبدو ثورية لمستمعيه الأصليين، وكذلك بالنسبة لأناس كثيرين من بعدهم. لكن الواقع هو أن كل ما جاء فيها من تعاليم «جديدة»، مذكور فى الكتابات الشرقية المقدسة. والحقيقة هى أن جميع الحقائق الروحية التى يمكن للإنسان فهمها فى المرحلة الحاضرة من تطوره، نشرها معلمو الهند القدامى منذ زمن بعيد. ومنذ ذلك الحين أعاد معلمو العالم العظام إحياء المخزون الأساسى من الحكمة. كل منهم يعرضها بنبرة وتوكيد وتفسير جديد وأمثلة مستحدثة تناسب العصر الذى يخاطبه. إلا أن دراسة للحكمة القيمة المدونة فى الفيدات،

الاوبانيشادات، البورونات والشاسترات (كتب مقدسة هندية) تظهر أن كافة الحقائق الأساسية التى يمكن ذكرها، سبق وذكرت بشكل أو بآخر.

هذا لا يعنى أن تكرارها من قبل المعلمين الحديثين ليس ضروريا أو مهما. فبمرور الزمن يصبح أى معبد يبنى للحقيقة ضريحا لها، إذ لابد للكلمات المنيرة التى بين غلافات المخطوطات القديمة أو الكتب، من أن تنسى أو أن يساء فهمها أو أن يقوم كهنة ماكرون بتحريفها جاعلين منها فخا للجاهل والمتهور. لابد من إصلاح الحكمة القديمة وإعادة تنشيطها من أجل إعطائها أهمية جديدة ومعنى حيا. هذا يمكن فقط على يد معلم حقيقى. معلم يعلم ليس من الكتب بل من ذاته هو. مثل هذا المعلم لا تحمل كلماته سمة التأمل الفلسفى، بل العلم الحقيقى المبنى على اليقين.

لكل معلم عظيم ينطق بهذه الحقيقة الساطعة من ذاتها، أسلوبه الشخصى وطريقته فى العرض. بعض المعلمين توجهوا لعدد قليل من الناس وبعضهم الآخر خاطب جماهير غفيرة. مثال ذلك المسيح الذى خاطب مجموعات كبيرة من الناس، وهو غالبا ما نشر الحكمة من خلال أمثلة كى يسهل استيعابها على العقول الجاهلة.

هناك كثير من التشابه بين ساي بابا والمسيح، ليس فقط فيما يتعلق بالمعجزات، بل بأسلوب العرض أيضاً. فبابا يستعمل كثيرا من الأمثال والتشابيه والاستعارات والإيضاحات المألوفة فى خطبه. لا شك فى أن هذا هو سبب جذبه لحشود هائلة من الناس. سبب

آخر، هو قوة الإقناع والثقة التى تظهر فى كلماته. فهو يتكلم كشخص عالم، ولا يخشى تكرار عباراته أو إعادتها أو التشديد عليها، وبهذا يثبت الحقيقة التى نادى بها كافة المعلمين العظام، ألا وهى أنه لا يكفى الناس أن يسمعوا أو أن يعرفوا الحقائق، بل عليهم أن يعيشوها فالعمل والمعرفة يجب أن يكونا واحدا.

الإنسان أساساً، هو الروح (الاتما) وليس الجسد. عليه ألا يعرف ذاته بالجسد الذى هو مجرد رداء مؤقت، لكن حتى أولئك الذين يوافقون على هذه الحقيقة فكريا، يتصرفون أكثر الأحيان وكأنهم أجساد ليس إلا. لذلك، لا يمل بابا أبدا من التشديد على هذه الحقيقة الأساسية.

إن الروح لا تقهر، ولا يؤثر فيها صعود الحياة أو هبوطها. فالظل الذى تلقونه وأنتم تسيرون على الطريق يقع على الغبار والأوساخ، على الأجمات والأشواك، على الحجر والتراب، لكنكم لا تشعرون بقلق لأنكم تسيرون دون أن تصابوا بأذى. إذن، كونكم مادة الروح لا عذر لكم للقلق على مصير الظل، أى الجسد.

حقيقة ذات الإنسان هذه هى «شىء ألطف من الماء أو الهواء أو الأثير، لأن عليها أن تدخل العين كى تتمكن من الرؤية، اليد كى تتمكن من الإمساك، الأقدام كى تتمكن من السير. فالحواس بحد ذاتها مواد جامدة ولابد للذات أن تعمل قبل أن تؤدى هى (الحواس) مهامها.

الروح نفسها ليس لها شكل، لكنها تخلق الأشكال التى تحتاج إليها فقد خلقت أغلفة الإنسان الخمسة. أكثر هذه الأغلفة كثافة

هو (غلاف الطعام)، الأدق منه هو (غلاف النفس الحيوى). هذان الغلافان هما جزء من الجسم المادى. هناك غلافان آخران يكونان الجسم اللطيف أو الكوكبى، هما (غلاف العقل) و(غلاف الفكر أو العقل الأسمى). الغلاف الخامس هو (غلاف الغبطة) الذى يخدم جسم الإنسان الأسمى، وهو الجسم السببى. جميع هذه الأجزاء والعناصر تقوم بخدمة سيد القصر (الروح الفردية).

لكن السيد، وقد انشغل تماما بأدواته التى خلقها وبالتجارب التى تذخر بها، نسى هويته الحقيقية. غير أنه فى داخل أعماقه هناك صدى مبهم لذكرى. أحيانا يسمعه، بحيث أنه عندما يصله نداء من المناطق الخالدة، يستجيب. فكما يقول بابا: «الإنسان ليس مخلوقا حقيرا ولد من القذارة والخطيئة حتى يستمر فى أسلوب حياة كئيب إلى الأبد. الإنسان أزلى خالد، لذلك عندما يأتيه النداء من منطقة الخلود، فإنه يستجيب بملء قلبه. إنه يبحث عن التحرر من عبوديته لما هو تافه وزائل. فالكل فى أعماق قلبه يتوق إلى هذا التحرر، وهو متوفر فى متجر واحد فقط: التأمل فى (الروح) الذات الأسمى التى هى أساس هذا المظهر كله».

لكن التحرر هو جهاد يمتد لفترة طويلة من الزمن. فهو لا يأتى آليا مع الموت كما يعتقد البعض، إذ إنه بعد طرح الجسم المادى تبقى الروح مستغرقة فى مركبات أخرى، يبقى لها صلات بالأرض، صلات الذاكرة والرغبة التى تعود بها إلى التجسد مرة تلو أخرى.

كى يتحرر الإنسان ويحقق الغبطة الأبدية، عليه أن يتخلص من كافة الرغبات والتعلقات الدنيوية. الإنسان مثل الأرز، إنه

لا ينمو إلا إذا أزيلت عنه القشرة، وقشرة الإنسان هى مجموعة الرغبات، فإذا تخلص منها لا يعود للتجسد ثانية.

لا شك فى أن إخضاع الرغبات والتعلقات الدنيوية يتطلب ممارسات روحية طويلة، وأكثر تعاليم بابا تهدف مباشرة لمساعدة الناس فى هذا الجهاد الأكبر. وهو يستعمل إيضاحات مألوفة كثيرة لمساعدتهم على استيعاب وتذكر المبادئ الأساسية المرتبطة بذلك. إن رغبات الإنسان الكثيرة شبيهة بقطع النقد المعدنية الصغيرة التى يحملها الإنسان فى جيبه، فكلما كثرت، كلما ثقل حمله. لكنه إذا حولها إلى ورقة مالية واحدة مرتفعة القيمة فلن يشعر بأى ثقل. كذلك، إذا تمكن من تحويل رغباته الكثيرة إلى رغبة واحدة، أى الطموح إلى الاتحاد بالله، عندها لن يكون هناك ثقل يشده إلى الأسفل .. إلى مستوى الأرض.

عندما يخرج الإنسان من مدرسة الوجود الظاهر الطويلة فى هذا العالم وفى كواكب أخرى أيضاً، فإنه يخطو الخطوات الأولى نحو فهم هدفه الأساسى المتمثل فى شق الشرنقة التى شدته إلى أسفل طوال هذا الوقت. فقد كان للشرنقة فائدتها، لكن حان وقت التخلص منها، وأصبح (الإنسان) مؤهلا لأن يطير إلى حياة الحرية .. إلى الحياة المقدسة.

الحقيقة هى إن كل إنسان هو قبس من الألوهية، المحيط المقدس الذى نشأ عنه الوجود. باستطاعة كل واحد أن يدمج روحه الفردية المنفصلة فى محيط الروح الكونية.

إن أساس المحبة والأخوة بين الناس هى حقيقة أنهم جميعهم من مبدأ الروح الواحد هذا، مهما كان لونهم أو جنسهم أو مذهبهم. إن القياس هنا هو مثل التيار الكهربائى الذى يضىء مصابيح بألوان وأشكال وأحجام مختلفة. الحقيقة الوحيدة خلف المصابيح هى التيار الذى يجرى فيها. إنه التيار نفسه فى كل واحدة منها، يمكن تشبيه الروح بالتيار الكهربائى. أما الناس فما هم سوى تعابير مختلفة لهذا التيار الأوحد.

إن الله غير منظور وهو الذى يخلق ويصون ويدمر كل ما هو موجود. فالله حقا موجود فى كل الأشكال لكنه موجود فى الإنسان أكثر منه فى أى شىء آخر، وفى بعض الناس يكون وجوده أكمل وأقوى منه فى البعض الآخر. فى تاريخ العالم، هم قلة الذين تحققت ربانيتهم مئة بالمائة».

الحقيقة هى أن الله، الذى يعبر عن ناحية ما أو عن جزء من ذاته فى جوهر كل شكل، يمكنه الاستجابة لأى اسم. يمكن مخاطبة الله بأى اسم يكون وقعه حلوا على ألسنتكم. يمكنكم أن ترتلوا اسمه — أى اسم تشاءون ليس هناك فرق البتة إنه الأول والآخر والظاهر والباطن.

لكن علينا ألا نعتقد أبدا أن الله الكلى الحضور يستجيب حصرا للاسم التقليدى الأوحد الذى كيفنا على عبادته. إذا كانت عبادتنا صادقة مخلصة فإنه يتجلى فى أدق القنوات وأكثرها محدودية، لكنه لا ينحصر فيها. وكما يقول الشاعر الصوفى «غباره هنا لكنه فى اللامتناهى».

فبمعنى أن الله أقرب إلينا من أيدينا ومن أقدامنا. ولسنا بحاجة للبحث عنه وراء النجوم «حيث الأنظمة الدوارة تظلم وحيث تحلق أفكارنا المخدرة» لأن الله المحب الرحيم هو دائما قريب منا. إنه جوهر قلبنا الروحى. لكن، كما أن الطبيب يتواجد حيث يتجمع المرضى، والجراح يتواجد فى غرفة العمليات، كذلك فإن الله يكون دائما مع المعذبين والمكافحين. فحيثما ينادى الناس على الله، هناك يتواجد الله، بصورة خاصة.

حيث إن الهدف النهائى من كل إنسان .. هدفه الحقيقى، سواء أدرك ذلك أم لم يدرك، هو أن يحقق الله داخل ذاته، يبرز سؤال مهم: كيف يحيا حياته من أجل تحقيق هذا الهدف؟

ليست الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هذا الهدف الروحى هى الانسحاب والعيش فى كهوف وصوامع أو أديرة محاطة بأسوار. من الأصح أن تعيش غالبيتنا حياة طبيعية فى هذا العالم، شرط أن لا نصبح عبيدا أرقاء لإغراءات الحياة فالقصد من المركب هو الطفو فوق الماء، شرط أن لا يدخل الماء فيه. كذلك، القصد منا هو أن نكون فى العالم على أن لا يدخل العالم فينا.

علينا أن ندرك أن تمثيلية هذا العالم العظيمة التى نلعب فيها حاليا دورا ما، ليست سوى عرض زائل. علينا ألا نعرف أنفسنا بهذه التمثيلية أو أن نتعلق بأثوابها و «خاصياتها» التى سنتركها خلفنا على كل حال. بكلام أخر علينا أن نتعلم كيف نميز بين ما هو باق وما هو فان، بين الجوهر والظل.

الظل هو الوهم الكبير الذى يجعلنا نعتقد أن أجسادنا والعالم المادى المحيط بنا هما الحقيقة الوحيدة والنهائية. ولتصحيح هذا الخطأ علينا أن نوجه أفكارنا وطموحاتنا نحو الله، ووجودنا نحو النور الآلهى. تحرك إلى الأمام نحو النور فيقع الظل وراءك، لكنك إذا تحركت بعكس النور، أى إذا بعدت عنه يصبح عليك أن تتبع ظلك نفسه. قم بخطوة نحو الله فى كل لحظة، بعدئذ يسقط الوهم الكبير .. يسقط الظل ولن يستطيع تضليلك أبداً.

فى الواقع، جميعنا يبحث عن السعادة، لكن بسبب ظل جهلنا المخادع، نحن نبحث عنها فى أماكن مغلوطة. يقول بابا: «حالما تلتفت نحو طريق السعادة الدنيوية، فإنها تقودك أكثر فأكثر نحو التذمر والمنافسة والكبرياء والحسد. توقف لحظة وتفحص تجربتك الخاصة. أسأل نفسك: هل أنت أكثر سعادة وأنت أكثر غنى؟ هل تحصل على سلام أكبر عندما تشبع رغباتك؟ ستشهد بنفسك على حقيقة ساطعة هى أن تحسن مستوى المعيشة لا يضمن السعادة».

عندما نبحث عن السعادة فى متاع الدنيا نصادف آلاما بقدر ما نصادف سعادة، وأفراحا بقدر الأتراح. ذلك جزء من الحقيقة الآلهية. لكن ابعد عنها وبالرغم منها سنجد سلاما عظيما وفرحا دائما حالما ندير وجهنا نحو النور وندرك أننا جزء من الجوهر الآلهى وأن وجودنا الحقيقى يقع خلف استعراض الظل هذا على مسرح الزمن والمكان.

لكن هل هناك إرشاد خاص وتدريب يساعد الإنسان على الإفلات من قبضة إغراءات العالم؟ تدريب يساعده على تحقيق هذا

التغيير الكامل فى التوجه فيتخلى عن البريق الزائف ويلتفت نحو النور الأعظم؟ هناك ثلاثة طرق تؤدى إلى الاستنارة، وهى العمل - المعرفة - والتقوى. وإنها ثلاثة ممرات على الطريق العظيم الوحيد الذى يؤدى إلى الله.

ركز عملك على المعرفة .. معرفة أن الكل واحد. وليكن عملك مغمورا بالتقوى، أى التواضع، والمحبة، والرحمة واللاعنف. لتكن التقوى مفعمة بالمعرفة وألا تكون بخفة البالون الذى ينجرف مع تيار هوائى أو مع كل هبة ريح. المعرفة بحد ذاتها تبعث على جفاف القلب، والتقوى تجعله لينا عطوفا. والعمل يزود اليدين بشىء تقوم به.. شىء يطهر كل دقيقة قدر لك أن تحياها».

العمل هو قطار بطىء يقف طويلا عند المحطات ويقوم ببعض التعديلات قبل أن يصل بك إلى نهاية الرحلة. لكنك إذا أضفت التقوى إلى العمل، فإنك تسافر فى قطار سريع وتصل إلى هدفك بطريقة أسهل وبسرعة أكبر. ثم إن العمل والتقوى معا ينميان الحكمة الحقيقية. بهذا، تسافر على قطار لا يتوقف أبدا فتصل مباشرة إلى نهاية رحلتك. إذن، اعبد وأنت تعمل، وخلال ذلك ناضل من أجل معرفة الذات التى تساعد كلا من العمل والعبادة على إنماء الحكمة الحقيقية.

الكتب الروحية ما هى إلا بمثابة خرائط وكتب إرشاد ليس إلا. ،عندما تتفحص خريطة أو تتصفح دليلا سياحيا لبلد ما، لا تشعر بمتعة حقيقية ولا تحصل على المعرفة والفرحة اللتين قد تشعر بهما لو قمت برحلة عبر ذلك البلد.

سوف تسمع (أغنية آلهية) موضوعة خصيصا لك لو أنك فقط ناديت على الله فى قلبك. إنه مقيم فيه.

إذن، كتب العالم المقدسة تشكل دليلا يحملنا فقط إلى حيث يمكن أن تحملنا الكلمة المكتوبة. أما المعرفة الحقيقية فيجب أن تأتى من تجربتنا الشخصية الخاصة. علينا أن نسافر بأنفسنا إلى تلك الأرض الواقعة فى داخلنا. لكنه من الصعب جدا، لا بل من المستحيل أن نجد طريقنا بأنفسنا عبر الغابات، عبر أدغال الحياة الكثيفة المحيطة بتلك الأرض المقدسة. لذلك، من الأفضل كثيرا أن نأخذ مرشدا سبق وزارها وعرف طريقها من خلال تجربته الشخصية. بكلام أخر، إن أضمن وأسهل وأسرع طريق لتحقيق الذات هو اتخاذ معلم روحى، معلم عظيم سبق وحقق ذاته تحقيقا كاملاً.

إذا كنت فى الحياة العادية قد اتخذت مرشدا يقودك عبر غابات وصحار غريبة وطرق معقدة فى مدينة مجهولة منك، فإنك لا تناقشه أو تجادله حول الطرق، بل إنك تضع كامل ثقتك به وتستسلم لإرشاده. كذلك هو الحال بالنسبة لمعلمك أو شيخك العظيم. عليك أن تسلم نفسك له تماما. فأنانيتك السخيفة وكبرياؤك وعنادك، جميعها تقودك إلى الضلال. أما مرشدك الروحى فيعرف كيف يوصلك إلى حيث تريد الوصول، لذلك فإن أول شىء ينبغى لك أن تتعلمه هو علم تسليم الذات.

وما يساعدك على ذلك طبعا هى المحبة التى تكنها لمعلمك العظيم الذى لا يبغى سوى مصلحتك، لذلك فهو يساعدك على

التقدم وحافزه الوحيد المحبة الصافية اللا-أنانية. وإنه بمحبته هذه يعبر المعلم عن محبة الله. كتب سان برنار دى كليرفو، «عندما يحب الله فإنه لا يبغى شيئا سوى أن يحب لعلمه أن أولئك الذين يحبونه مباركون بهذه المحبة». هذه المحبة الغيرية التى يكنها المعلم العظيم لتلميذه واستجابة التلميذ بمحبة مستمرة لمعلمه العظيم هى فى جوهر طريق التقوى.

إذن، فى الوقت الذى علينا أن ألا ننسى الطرق الأخرى، تبقى التقوى (محبة الله) هى الطريق الأساسى للرحلة العظيمة. أو بكلام آخر، رغم أن التقوى ليست العامل الوحيد فى المعادلة الكيميائية التى تحول عناصر الإنسان الأساسية إلى ذهب روحى، فإنها أكثر العوامل أهمية (طريق العبادة) هى أسهل وأضمن طريق للوصول إلى الهدف، وقد قال الشىء نفسه معلمون عظام كثيرون.

وللدلالة على قيمة طريق التقوى، هاكم قصة. كان مريد وعارف بالله بسيران فى غابة. أصابهما عطش شديد. وصلا إلى بئر عميق ماؤه فى القعر البعيد وعلى جنباته شوك ونبات عليق. لم يكن هناك وسيلة للحصول على الماء. تغلب العارف بالله على الصعوبة بأن بذل جهودا خارقة للطبيعة واتخذ شكل طائر. ثم طار بين الشوك والنبات فتساقط كثير من ريشه. من ناحية أخرى تاق المريد إلى رحمة الله ونادى عليه بحماس. سمع الله واستجاب فارتفع الماء إلى مستوى المريد فروى ظمأه تماما.

إن الله كحجر المغنطيس لا يستطيع جذب ولو قليلا من الحديد الصيدئ أو المغطى بالغبار. كذلك لا يمكن أن تنجذبوا

إلى الله وفكركم محمل بصدأ الرغبات المادية وبغبار الأحاسيس الشهوانية.

هناك قصة مدونة تروى كيف أن رجلا غنيا جاء لساى بابا شردى وسأله أن يريه الطريق نحو التحقق من الله فاخضع ساي شردى الرجل لامتحانات عديدة، ثم ألقى كلمة حول المؤهلات الضرورية لأى فرد قبل أن يأمل فى التحقق من الله خلال حياته. وكان بين الحاضرين عدد من تلاميذ ساي بابا شردى وكذلك الرجل الثرى.

لذا سوف أورد هنا فحوى تلك الكلمة التى ألقاها شردى والجديرة بالتذكر والتى ركز فيها على عشر نقاط:

(١) على المريد أن يدرك تفاهة أشياء هذا العالم. عليه أن يشعر بالاشمئزاز من التكريم والرواتب والثمار التى تدرها عليه أعماله فى هذا العالم، لأن هدفه اسمى من ذلك.

(٢). عليه أن يدرك تماما أنه مستعبد للعوالم السفلى وأن لديه طموحاً قوياً للتحرر. عليه أن يعمل بجد وتصميم نحو هذا الهدف وأن لا يهتم بأى شىء آخر.

(٣) خلقت حواسنا وبها ميل للتحرك نحو الخارج، لذلك ينظر الإنسان دائما خارج نفسه. لكن من يريد تحقيق الذات والحياة الخالدة، عليه أن يحدق فى داخل ذاته وأن يبحث فيها.

(٤) يستحيل على الإنسان الوصول إلى تحقيق الذات إذا لم يتخل

عن فعل السوء وإذا لم يعمل على تهدئة ذاته كى يستكين عقله حتى لو حصل على معرفة عظيمة.

(٥) على المرشح للحياة الروحية أن يحيا حياة صدق وكفارة وتبصر وسلوك حسن.

(٦) هناك نوعان من الأمور التى تطالع المرء باستمرار: الأمور الصالحة والأمور السارة. على الطامح أن يفكر وأن يختار بينها. الإنسان الحكيم يختار الصالح، وغير الحكيم – ويسبب الجشع والتعلق – يختار السار.

(٧) على المريد أن يضبط عقله وحواسه، فإذا كان عقله لا يكبح وحواسه لا تطوع كحصان وحشى ضار يجر عربة فلن يستطيع بلوغ غايته. لكن عندما يمارس الفكر والإرادة المستنيرة، والانضباط، كما تفعل يدا سائق ماهر وهى تعالج الأعنة (الفكر) بمهارة من أجل إرشاد الخيل (الحواس) بثبات على الطريق الصحيح، عندها تصل الذات الحقيقية – أى سيد العربة – إلى الهدف من الرحلة، أى المقر الأسمى لله الكلى الوجود. يستعمل بابا أحيانا تشبيها آخر، فيماثل الفكر بشريط كهربائى ويقول: «لا تقيموا صلة مع الفكر لأن ذلك سيئ، إنه كالاتصال بشريط كهربائى! راقبوه من بعيد. إذ ذاك فقط يمكنكم أن تستمدوا الغبطة».

(٨) على المرء ضبط فكره وكذلك عليه تنقيته. فى سبيل ذلك عليه أن يقوم بواجباته – حسب موقعه فى الحياة – بصورة مرضية ودون تعلق. عليه أن يتخلص من الوهم

الكبير المتمثل فى «أنا الجسد» أو «أنا الفكر». هذا يساعده على التخلص من الأنانية والجشع وعلى تطهير فكره من كافة الرغبات الدنيئة.

(٩) يجب أن يكون للمريد معلم أو شيخ، لأن معرفة الذات على قدر من الدقة يستحيل معها على أحد أن يأمل فى بلوغها بجهده الخاص. لذلك، فإن مساعدة معلم عظيم سبق ومشى على هذا الدرب وحقق ذاته ضرورية جدا. ليس هناك صعوبة فى العثور على معلم، عندما يبذل التلميذ كل ما فى وسعه فى البحث والتدريب الذاتيين، يأتى المعلم أما جسديا أو متخفياً.

(١٠) أخيرا، والأهم من كل ذلك هى رحمة الله. عندما يحاول التلميذ ويفشل مرة بعد أخرى.. عندما يبدو الأمر ميؤوسا منه ويدرك تماما عجزه التام، عندها تأتى الرحمة الربانية فيشع النور ويتدفق الفرح ويأخذ خطوة أخرى على الطريق الروحى.

بعد الانتهاء من إلقاء كلمته توجه شردى بابا للرجل الثرى قائلا: «حسنا يا سيد.. فى جيبك يوجد مائتان وخمسين روبية، أخرجها من فضلك. أخرج الرجل رزمة الأوراق النقدية من جبيه وعدها فوجد – لدهشته الكبيرة – إنها ٢٥ ورقة من فئة العشرة روبيات. لم يكن يعلم قيمة الدراهم الموجودة فى جيبه، لذلك، وقد شعر أن بابا كلى العلم، خر على قدميه المقدستين وطلب بركاته.

قال بابا: «اجمع رزمتك من النقود .. وما لم تتخلص تماما من جشعك لن تعرف الله ولن تكون عارفاً بالله. فحب المال هو دوامة عميقة من الألم، وهى مليئة بالتماسيح على شكل الغرور والحسد.. فالجشع والله هما كعامودين منفصلين .. متعارضين أبدا. الإنسان الجشع لا يعرف السلام أو الرضى أو الاستقرار. فلو وجد ولو أثر ضئيل للجشع فى الفكر تكون جميع المحاولات الروحية بلا جدوى. تعاليم المعلم لا تجدى فائدة لن غرق فى الأنانية ولمن ركز فكره على الأشياء الحسية. إن تطهير الفكر ضرورى جدا، بدونه تبقى كافة المحاولات الروحية مجرد عرض وأبهة. من الأفضل للمرء أن يحصل على ما يمكنه فهمه واستيعابه. إن خزنتى مليئة وبإمكانى منح كل إنسان ما يريد، لكن ينبغى أولا أن أتأكد من أنه مؤهل لتلقى ما أعطيه إياه. إذا كنت قد سمعتنى بانتباه، لا شك عندى فى أنك ستلقى فائدة».

كان بابا يعلم أن محدثه الثرى كان دنيئا، جشعا. فالامتحانات الأولية كشفت عن هذه الحقيقة لجميع الحاضرين. إن اقتناء ثروة بحد ذاته ليس جريمة، المهم موقفنا من الثروة. فإذا كنا «فقيرى الروح» أى غير متشبثين بممتلكاتنا، مدركين أنها أمانة من الله وأنه يجب استعمالها استعمالا صحيحا، عند ذلك يصبح اقتناء الكثير أو القليل غير ذى أهمية.

هذا الرجل الثرى، بعكس الشاب الغنى الذى جاء إلى المسيح طالبا الخلاص، لم يخرج حزينا، فسجل الأحداث يقول إنه على العكس، بعد أن حصل على بركات بابا غادر المكان وهو راض وسعيد

تماما. فهو، كباقى الحضور، تمتع بالوليمة الروحية التى قدمها بابا، ولربما شعر ببعض الأمل فى أن التبصر الذى حصل عليه قد يمكنه بالتالى من تخفيف حجم «جمل» تعلقاته حتى يستطيع المرور من خرم الإبرة الروحية.

إذن كما نبحث عن تحقيق الذات عن طريق التقوى أو أى طريق آخر، علينا أن نطهر القلب من الجشع والرغبة والبغض والكذب والآفات الأخرى. أحد أعظم المطهرات، للذين يستطيعون ممارسته، هو ذاك التمرين الناظر فى الذات والسامى بها والمعروف بالتأمل. ويعلمنا بابا أن التأمل يمكن أن يكون بالتركيز على الله.

ناضل ساي بابا بشجاعة لإزالة سوء التفاهم الخطر والخلاف القائم بين الهندوس والمسلمين، وجاهد باستمرار لإظهار الوحدة الأساسية الكامنة بين الأديان. ومن بين أتباعه المخلصين أناس ينتمون لمختلف الأديان الرئيسية، هذه هى عظمة القانون الروحى الأزلى، هذا الإصرار على الوحدة خلف التعددية الظاهرة. فالروح الذى يعلن القانون الأزلى إنها الحقيقة الأساسية، لا تعارض تعاليم أية عقيدة .. فالله غير موجود بالزمن والمكان، وهو لا يوصف بالأسماء أو الأشكال».

الدول تتسلح بوحشية وتنمى الأحقاد .. لقد هبط الإنسان إلى دركات الحيوانات البرية. فالشرارة التى تنشأ فى الفكر الفردى قد أوقدت حريقا هائلا من البغضاء والجشع شمل العالم بأسره، ينبغى إخماد هذا الحريق فى الفرد والأسرة والقرية والمدينة والوطن، بل حيثما يرفع رأسه. الإنسان هو فريسة الألم لأنه لا يعى الكنز الذى

فى داخله، فهو كالمتسول الذى يجهل وجود الملايين المخبأة تحت أرض كوخه. إنه يقاسى من بؤس رهيب. «هناك أربعة رجال إطفاء فقط يمكنهم إطفاء الحريق العالمى: الحقيقة، الاستقامة، السلام، والمحبة. ما من شىء آخر يستطيع القيام بذلك.

الحقيقة، هى ذاك الوضوح الفكرى الذى يمكننا من النظر وراء الزيف والخداع والأوهام كى نرى جوهر الأشياء. من خلال الحقيقة نتعرف على حقيقة وجودنا وعلى حقيقة الله والكون.

الاستقامة، هى قانون الحياة الروحى. إنها القوة التنفيذية التى تنفذ الحقيقة الأساسية فى الظروف التى نتواجد فيها. أحياناً، تتطلب منا الاستقامة أن نتصرف بطريقة ما، وأحيانا أخرى بطريقة معاكسة. لكن فى كل حالة يبقى التصرف منسجما مع قانون الروح الأزلى الذى لا يتبدل. من خلال الاستقامة تعيش الحقيقة، والاستقامة هى الحقيقة فى مجال التطبيق.

السلام، هو السلام العظيم الذى يغمر الإنسان من خلال الحقيقة والاستقامة.. من خلال معرفة الحقيقة والعيش فيها .. إنه «السلام الذى يتجاوز الفهم ويسكن قلوب أولئك الذين يعيشون فى الأبدى.

المحبة، هى المحبة الآلهية التى وصفتها كافة الأديان السماوية العظيمة بأنها أسمى تعبير لله على الأرض. المسيح قال إن الله محبة وإنه علينا أن نحب جيراننا كما نحب أنفسنا. غير ذاتنا الحقيقية – الروح – نحن فى الواقع واحد بعضنا مع بعض ومع جميع الناس، ومع الله.

هذه المحبة الآلهية تتدفق باستمرار من الله والتى يشعر بها

كثافة الخلق واحدهم نحو الآخر. إنها ثابتة فى الأوقات السيئة كما فى الأوقات الحسنة. فهى ليست كالفلفل والملح الذى تضيف به نكهة إلى طعامنا، إنها الخبز والزبدة ذاتها.. إنها الجوهر الأساسى نفسه. إنها موقف لا يتبدل .. منحى فكرى مطلوب، يبقى ثابتا فى السراء والضراء.

للمحبة الآلهية الصافية قوة تجعل الله يتجلى أمام أعيننا. ساي بابا نفسه هو تجسيد للمحبة الصافية. كذلك كان المسيح ولو أمكن من خلال مثاله وتأثيره وقوته غرس ما يكفى من المحبة فى قلوب الناس، لتغير العالم.

أخيراً .. لابد من القول إن بابا يعطى أهم تعاليمه وتدريباته انفراديا، من خلال كلمات أو تلميحات أو تعليمات وأيضا من خلال العمل والمثال و (لربما الأهم منها جميعا) التأثير الصامت. مثل هذا الإرشاد الروحى يختلف باختلاف كل تلميذ لأنه يتوقف على مزاج التلميذ ومدى تقدمه وحاجاته فى زمن معين. وبما أنه أمر شخصى وسرى لا يمكن لأى مراقب أن ينتزعه أو أن يشرحه. يمكننى فقط القول إنه يعطى للبعض ترنيمة ولآخرين إرشادا خاصا بالتأمل، وللبعض الآخر ممارسات وطرق تقشف. هناك من لا يتلقى شيئا من هذا، بل أشكالا أخرى من المساعدة فى بعض الأحيان يبدو وكأنه يمنح بعض الأتباع حرية فى التصرف كبيرة، بينا يطلب من البعض الآخر أن يكونوا حذرين جداً. كثيرون يتعلمون من خلال أمثال وتشابيه بسيطة، والقليلون الذين يتمكنون من الفهم، ينكشف لهم معنى أعمق.

إن المغزى الضمنى لمثل هذا التدريب هو أنه علينا البحث عن الله عن طريق الاستسلام المطلق والتقوى. فالنفس التى استسلمت كليا وقضت تماما على «الأنا» السفلية، قادرة على تشرب التعليم الصامت الذى يشع من المعلم العظيم والاستفادة منه.

فى نفس الوقت، غالبا ما يقول بابا: «كل شىء موجود فى داخلكم، حاولوا الاستماع إلى الصوت الداخلى واتبعوا التعليمات التى تتلقونها». وللدلالة على ما للصوت الداخلى من أهمية، يروى قصة المعلم والمريد وهما يسيران سويا.

قال المعلم وقد رأى عصفورا فى السماء: «هاك يمامة!».

أجاب المريد، أجل يمامة.

كلا. أعتقد أنها حمامة.

أنت على حق. حمامة.

حسنا. الآن يبدو لى كأنها غراب.

لا شك أنها غراب.

ضحك المعلم ووبخ المريد لموافقته على كل اقتراح. لكن المريد قال: «كلماتك أثمن عندى من شهادة عينى. كل ما تقوله كذلك يكون».

يمثل المعلم هنا الصوت الآلهى الموجود فى داخل كل منا. قد تعطينا حواسنا الجسدية تقريرا خاطئا. لكن الصوت الداخلى لا يفعل ذلك أبدا. غاية معلمنا العظيم الخارجية هى مساعدتنا على سماع صوت معلمنا الداخلى بوضوح وثقة وفى كل الأوقات حتى يصبح مرشدنا المعصوم.

الفصل التاسع

مذكـــرات ساي بابا

يقول ساي بابا فى مذكراته والتى كان يرويها عبد الله مريده وخادم المسجد:

- «من لم ير الطريق إلى الله يبقى أعمى فى هذه الدنيا، ويهيم فيها كرجل أعمى بين الناس.. وليست لديه المقدرة لمعرفة الله».
- فى أول صفحة من هذه المذكرات كتبت سورة الفاتحة.. يلى ذلك كتب الآتى باللغة العربية:
- بسم الله الرحمن الرحيم .. الحب لك يا سيدى الإمام الحسين ويا سيدة فاطمة .. وباسم الله أنجز هذا العمل .. وأنا مثلى كمثل راكب حصان سأصحبكم معى. إن العاطفة الدينية عاطفة روحية نقية .. يليها العلاقات بالعالم المادى .. يا حبيبى يا الله.. ما تراه فى هذه الدنيا ليس بحقيقى لأنك لن تستطيع فهمه من خلال العقل .. من يرون الروح غير أبدية ليسوا على صواب لأن التفكير نفسه ليس دائماً أو مستقراً.
- من الصعب أن تتصور أن يكون لله شكلا .. وقد حرم القرآن ذلك وإذا مشيت فى طريق الاستقامة والعمل الصالح لن

تشعر بالحاجة لذلك .. وطريق العمل الصالح يتطلب مجهودا كبيرا وأول ذلك الصلاة .. عندما يمارس الإنسان الصلاة سيأتيه إشراق آلهى ومن يواظب على الصلاة فإننى أعتبره فى الطريق.. وقبل أن تتقدم فى الطريق إلى الله يجب أن تضبط العقل .. يجب أن تقوى دفاعاتك بتحصينات .. إذا لم يتحرك الجيش كيف سيمكننا أن نخوض حرب الفضيلة؟ .. يا صديقى العزيز اعلم أن الجسد هو مملكة القلب .. ولا تفكر أن للقلب جيوشاً كثيرة. يقول القرآن: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[1].

- لقد خلق القلب لمعرفة الله .. وللعثور على الطريق المؤدى لمعرفة الله .. يعتبر ذلك المهمة الحقيقية للإنسان وهى ضرورية له.
- إن الصلاة إلى الله وذكر أسمائه الحسنى تنقذ الإنسان من الخطايا والنزعات الشيطانية.
- بسم الله الرحمن الرحيم .. العاطفة الدينية مملوءة بالروحانيات النقية .. وستجعلك ترى العالم المادى بداية حقيقية نسبيا حتى تحصل على رؤيا ربانية .. يا عزيزى إن الدنيا المادية ليست حقيقية .. إن الشكل الحقيقى للإنسان هو أنفاسه .. مصدر الحياة .. والجسد تحت سيطرة هذه الأنفاس .. إن الجسد غير باقٍ وعليك أن تستحث القلب الذى يبحث عن رحمة الله.

---

(١) سورة المدثر – من الآية ٣١.

- من الصعب معرفة الحقيقة وهى معرفة الله (درجة المعرفة فى الصوفية) .. إن قانون الدين الإسلامى (الشريعة) لا تسمح بمعرفة الحقيقة لأنها فوق مستوى العقل. ولكن علينا أن نعمل باجتهاد فى طريق الدين الإسلامى .. وهؤلاء الذين يمارسون رياضات روحية صوفية يعرفون الله ذاتيا .. وقبل بذل أى مجهود يجب على الإنسان أن يفهم طريقة تفكيره .. وكيف يتقدم؟

- إن الجسد هو مملكة القلب .. وهذه المملكة أحيانا تكون معاكسة للعقل .. ومن يبذل مجهودا بقلب صادق للآخر .. فقد خلق لنفسه الطريق الصحيح ويصبح شاهدا لأعمال الله .. هذه الشهادة تعتمد على المعرفة الصادقة لله.

- من الصعب معرفة الحقيقة وهى معرفة الله. إن قانون العقيدة الإسلامية (الشريعة) لا يسمح بالتعمق فى المعرفة لأنها فيما بعد إدراكنا .. علينا العمل بكل جهد فى طريق العقيدة الإسلامية. وهؤلاء الذين يتبعون ممارسات روحية يعرفون تلقائياً الله (المعرفة). قبل بذل أى جهد علينا أن نفهم عمليات الفكر. وكيف يمكننا أن نتقدم، إن الجسد هو مملكة القلب وفى هذه المملكة يوجد شيىء معاكس لذلك وهو العقل. من يبذل مجهودا بقلب صادق من أجل الآخرة، قد اتخذ لنفسه الطريق الصحيح. وهو شاهد على أعمال الله .. وهذه الشهادة هى المعرفة الحقيقية لله.

- بسم الله الرحمن الرحيم .. ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ

إلاَّ لِيَعْبُدُون﴾[1]. لقد أعطى الله الإنسان الجسد واليدين والقدمين لكى يعمل ما يثرى هذه الدنيا. ومن ثم يسدد دينه لله ويصبح مريدا صادقا لله، بهذه الطريقة يكون الإنسان إمبراطورا يخدم العالم ويخدم الله.

- إن العقل يجب أن يميز بأنه الحاكم .. والجسد بيديه وقدميه خدم للعقل .. أما القلب فيجب أن يعتبر بأنه الكنز – والجشع والحسد يقومان بأعمال التجسس التى تتيح المعلومات للحصول على الثروة وبذلك يحقق الإنسان هدفه .. انظر إلى عقل الإنسان، إنه منقسم إلى جزأين المقدمة والمؤخرة. المقدمة تستقبل الرسائل وهى بمثابة المراسل الذى ينقل المعلومات. أما المؤخرة فهى بمثابة الحافظ على هذه المعلومات .. تماما مثل ضابط الاتصال (عليك أن تحسن استخدام الأعضاء والحواس المختلفة ففى مقدمة المخ قوة الفكر والتحليل، فى حين أنه فى مؤخرة المخ تكمن الذاكرة.
- يدير الحاكم مملكته ويتخذ كل قراراته، ويجب أن نعتبر العقل بأنه الحاكم الذى يجب أن تكون لديه القدرة للتحكم فى التآمر ضده وأن يكون واعيا متمرداً، العقل يجب أن يكون متيقظا لهؤلاء الأعداء الذين يشنون الحرب ضد مملكة القيم والمبادئ (وهم الغضب والجشع والغيرة).
- على الفرد أن لا يصادق الناس ذوى العقول الشريرة، ولا

(١) سورة الذاريات – الآية ٥٦.

يتعاون معهم فى الشر وخداع الآخرين، وإذا راعى الفرد هذا الانضباط بذلك يتحقق الهدف من الحياة ويكسب بركة الله. أما إذا سلك الفرد عكس ذلك فسوف يعتبر لصا أو مخادعاً ويجب هنا معاقبته.

- هناك أنماط معينة فى سلوك الإنسان:
- السلوك الحيوانى المتمثل فى الشهوة والغضب والجشع.
- السلوك العدوانى المماثل لسلوك الكلب أو الذئب أو النمر.
- السلوك الشيطانى الشرير.
- السلوك الملائكى أو الربانى.
- الإنسان بدون القيم يسلك مسلك الشيطان، ولكن الإنسان لديه من الذكاء والقيم التى تجعله يسلك مسلك الملائكة .. جاهد دائما أن تكون معرفتك كاملة وتحاش الأفعال الشريرة، تمن كل خير لجميع الناس، وابتعد عمن لهم عقول شريرة وعش بشرف متحققا من عظمة اسم الله ودائما كن سعيداً.
- إن الطبيعة البشرية تنقسم إلى أربعة: مثل الكلب، ومثل الخنزير، ومثل الشيطان، ومثل الملاك.
- إن الخلق هو الذى يعكس طبيعة الإنسان الحقيقية، وخصال الكلاب والخنازير موجودة فى الطبقة البشرية والتى تحدد إذا كان الإنسان شيطانياً أو ملائكياً.
- إذا تغلبت على الشهوة والغضب فلن تكون تحت سيطرتهما

– وعلى الإنسان أن يجعل جشع الكلب وشهوة الخنزير تحت سيطرته. وإذا تم ذلك سيحوز على حالة البهجة وإذا لم يتم ذلك سيدمر تماماً.

- إذا تيقنت بوجود انضباط داخلى فسوف تراجع أفعالك وطريقة حياتك وتقرر أى النوازع الأربعة غالبة عليك. وخصال الفرد تنشأ من داخله طبقا لأفعاله التى يسلكها وستصاحبه فى حياته.
- إذا كبحت نوازع الخنزير بداخلك، سينمو فيك الرضا وخوف الله والحكمة وكل ما هو طيب. أما إذا أصبحت عبدا لنوازع الكلب، أو القرد والأنانية ستعتبر الآخرين فى مستوى أدنى منك وإذا جعلت نوازع الكلب تحت السيطرة سيزدهر بداخلك النجاح والشرف والتسامح وستحميك جميع هذه الخصال الطيبة فى النهاية.
- خداع الناس وغشهم وعدم الإخلاص والمكر لا تجعلها تسيطر عليك وتغلب عليها. إذا كان لديك تمييز صادق ستصاحبك الحكمة والمعرفة والسلوك الطيب وحسن المعاملة مع الآخرين حتى نهاية حياتك وستخدمك تماماً.
- النور مثله مثل مرآة نظيفة يمكن للإنسان أن يرى نفسه فيها. العادات السيئة مثلها مثل الدخان أو الظلام وهى تعمى القلب. ولكن فى يوم الحساب سيأتى صوت من السماء. احرس نفسك واحم فضائلك من أجل يوم الحساب. الخصال الجيدة نور يمسح القلب ويجلو الصدأ والشعور بالذنب بداخلك.

- لا آله إلا الله .. محمد رسول الله .. إذا أديت صلاتك كما يجب فسوف يقبلها الله .. ومن أجل ذلك نزل القرآن.
- مدد يا محمد يا رسول الله .. يا فاطمة .. يا إمام الحسن .. يا إمام الحسين.
- إن الأنبياء المرسلين وبركة هذا العالم هو محمد ﷺ وأصحاب سيدنا محمد ﷺ .
- بسم الله الرحمن الرحيم .. والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ وأصحابه.
- الإنسان الذى يتذوق ويشعر بقوة الله هو فقط الذى يستطيع أن يعرف الله ويكون عارفا بالله.
- مولانا جلال الدين الرومى ما هو إلا إنسان تذوق حلاوة المعرفة الروحية .. ومن لم يتذوقها لا يستطيع أن يتذوق علو الأولياء. حيث يراهم مماثلين له فى حين أن الفرق كبير بين الأرض والسماء وهو نفس الفرق بينه وبين الأنبياء والأولياء.
- حتى يمكنك الدخول إلى الدرجات العليا للروحية (معرفة الله) يجب ممارسة زهد قاس ويعنى ذلك يقظة دائما نهاراً وليلا والبعد عن النساء والطعام الفاخر والإقامة فى الغابات والجبال .. وذلك يعنى انضباطا كاملا فوق الرغبات.
- يوصى مولانا جلال الدين الرومى أن التقشف من متطلبات الدخول إلى المستويات العليا للروحية .. يجب

أن تكون يقظا نهارا وليلا، وتتجنب فاخر الطعام وتمارس الخلوة. إن رسول الله ﷺ يرى ذلك.

- يقول جلال الدين الرومى إن على الإنسان أن يكرم ويبجل الناس الروحيين العظام والذين يعتبرون أجل المخلوقات، وهذا السلوك رضاء لله وهو ضرورة للوصول إلى الله .. ومن يهينهم فلن يحصل على بركة الله.
- الإنسان الذى تنقصه حاسة التذوق لا يستطيع أن يميز بين الماء الحلو والماء المر. وإذا كانت ملكة التذوق مدمرة لا يمكن للإنسان أن يميز بينهما. وبالمثل الإنسان الذى لديه تذوق وجرب قوة الله، هو فقط الذى يستطيع أن يعرف الله .. ومن ليس لديهم قبس ربانى لا يمكن لهم أن يعرفوا ذواتهم.
- من الضرورى أن تحمى نفسك من هؤلاء الذين يدعونك إلى طريق الشيطان ومن هؤلاء الذين ينعمون فى نشاطات شريرة .. «ومن لم ير الطريق إلى الله يبق أعمى فى هذه الدنيا».
- من لم يكتشف الطريق إلى الله يبق أعمى فى هذه الحياة حتى وهو بين الناس لأنه ليست لديه القدرة لمعرفة الله.
- علينا أن نكون واعين برغبات النفس ثم نتجه إلى القلب .. وبعد رؤية نور الروح يتجلى فى القلب لنصل إلى الرأس .. إن الله حلو مثل مذاق السكر وشذاه مثل شذا الزهور .. وخطوة خطوة تتقدم ببركة الله إلى أن تصل إلى هدفك المنشود.. ومن تعرف على نور الله فهو العارف الحقيقى بالله. العارفون

بالله تحققوا منه سبحانه وتعالى من خلال الحبيب الحق، البادى الحق، الكريم الحق، الرحيم الحق، الوكيل الحق، الحافظ الحق، الماجد الحق، الواجد الحق، الوارث الحق، المالك الحق، الفتاح الحق، الواحد الحق، الباسط الحق، الشكور الحق، الرحمن الحق، الغفور الحق.

- علينا جميعا أن نؤدى الصلوات ولكن الاختلاف بيننا أن البعض يؤديها بكل قلبه والبعض يؤديها شكليا و الله أعلم بما فى الصدور.
- فى قلب الإنسان أربع جواهر: (العلم والعقل والصبر والإيمان)، وأعداؤهم (الغرور والغضب والجشع والشك).

الفصل العاشر

ختـــام المترجـــم

بالفحص الدقيق للمترجمة الإنجليزية لمذكرات ساي بابا يثبت لنا أن ساي بابا كانت له دراية واسعة بتعاليم الإسلام فى بداية حياته قبل أن يصبح مسلما صوفيا فى آخر حياته. وكانت بداية طريقه الطريقة الشيشيتية وعلى دراية كاملة بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، والسيرة النبوية والتصوف الإسلامى.

كان ساي بابا يطلب من مريده «عبد الله» فتح القرآن وقراءة بعض الآيات منه. والنسخة الأصلية لهذا القرآن مازالت تحتفظ بها أسرة «عبد الله» فى شردى حتى وقتنا هذا.

من تعاليم ساي بابا أن يكون حب الله حباً ذا طبيعة روحية وليست مادية. وعلى الإنسان أن يكون هدفه الأساسى معرفة الله، ليس عن طريق العقل ولكن بفتح القلب لحب الله والزهد فى مباهج الحياة.

حب الله وحده هو المفتاح وليس بالعقل والفكر ندرك الله، ولكن بالقلب الولهان العاشق لله ندركه سبحانه وتعالى.

وهناك طرق نفسية فيزيقية لتنقية القلب ومنها ضبط التنفس عند الذكر وتخيل النور الآلهى فى مراكز الطاقة الستة عند الإنسان.

وتتضح صحة نظرية تقوية مركز الطاقة فى القلب من حديث سيدنا محمد ﷺ نفسه عن مضغة القلب وهى مركز الحب الآلهى بقوله: «إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، آلا وهى القلب». فيرجح إذن أن العملية الروحية كانت منصبة على هذه المضغة أى مركز الطاقة فى القلب.

يقول الإمام الغزالى فى كتابه: «إحياء علوم الدين» .. إن قلب الإنسان هو روحه: «القلب، هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسمانى تعلق وتلك اللطيفة هى حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاتب والمطالب».

ومن هنا يمكن تفسير سر تلك العملية الجراحية (حادثة شق الصدر) التى تمت للنبى ﷺ وهو صغير فى قبيلة بنى سعد - التى تنتمى إليها حليمة السعدية مرضعة سيدنا محمد ﷺ - ومما يتطلب قوة روحية يتغلب بها صاحبها على ظروف المقاومة لارتفاعه. هذا ومن المعلوم أن الروح لا يمكنها الانتقال إلى طبقات عليا إلا إذا كانت معدة إعداداً كاملاً لذلك. القلب هو المختص بتلك العملية وهذا راجع إلى أن اتصال الروح يكون عند القلب مركز الحب الآلهى. وبذلك كان الواجب أن يكون قوياً لتحمل أى صدمة قد تنشأ أثناء خروج الروح من الجسد مؤقتاً أثناء عملية الطرح.

والمعجزة المادية قد تقنع الناس مؤقتاً وقد لا يقتنعون وينكصون عن صانعها ويقول الدكتور هيكل فى كتابه «حياة محمد»: «أراد الله أن تكون معجزة محمد إنسانية عقلية لا يستطيع الإنس والجن

الإتيان بمثلها، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً هذه المعجزة هى القرآن». وقال مثل هذا كثير من فلاسفة المسلمين مثل: (ابن رشد والإمام الغزالى ومحمد عبده). إلا أن طبيعة البشر تهوى المبالغة والإشاعات فذهبوا ينسجون لمحمد معجزات الأولين والآخرين، الشىء الذى لم يذكره القرآن.

يقول العلامة «ألفرد ولاس» فى كتابه «المعجزات والروحية الحديثة»: إن المعجزة هى «حدث مادى يقوم به عامل عاقل غير منظور ويؤدى إلى نتائج لا تفسرها القوانين المعروفة».

ويقول الشيخ الإمام محمد عبده فى كتابه «رسالة التوحيد» عن المعجزة: «وقدرة الله على كل شىء فيقول .. «فليس من المحال عليه أن يصنع نواميس خاصة بخوارق العادات غاية ما فى الأمر أننا لا نعرفها ولكننا نرى أثرها على يد من اختصه الله بفضل من عنده».

وفى كرامات العارفين بالله يقول ابن عربى فى كتابه «الفتوحات»: «واعلم أن الأرواح النورية المسخرة لا المدبرة تنزل على قلوب العارفين كما قلناه بالأوامر والشئون الآلهية والخيرات بحسب ما يريده الحق بهذا العبد فترقيه بما نزلت به ترقيه وتخليصاً إلى الحجاب الأقرب من الحجب البعيدة على أن يتولاه الله بارتفاع الوسائط».

ويقول أيضاً: «اعلم أن لله عباداً خرق لهم العادة فى إدراكهم العلوم من غير طريق الحواس من سمع وبصر وغيرهما وذلك كالضرب والحركة والسكون».

ويقول أيضاً: «من عرف نفسه عرف ربه فيعلم أنه الحق. فيخرج العارف المؤمن الحق بولايته متى أعطاه الله من ظلمة الغيب إلى نور الشهود فيشهد ما كان غيباً له فيعطيه كونه مشهوداً. ولم يكن له هذا الحكم من هذا الشخص من قبل».

ويقول عن كرامات الصوفى فى الشفاء: «فمنزل الصوفى من تحقق علم هذا المقام أنه إذا أحصن فرجه أعنى من طهر لوحه ومحاه حتى يتركه مهيئاً لقبول ما يخط فيه من الخط الاختصاصى فإن الله سبحانه وتعالى ينفخ له روحاً من أمره وكلمة من كلمه يهبه فى ذلك ما يشغله عن الله تعالى».

وهذه كرامات هذا المقام وعلامات مدعية رفض الدنيا وأهلها وتأثير كلامه وموعظته فى نفس أكثر المستمعين له .. لا يزال ينفخ فيهم حروف المعانى القدسية فيكون إذ ذاك متصفاً باسمه الخلاق الحكيم».

الروحية والصوفية

إن تعاليم الروحية والصوفية تعلى من قدر الإنسان وترقى به بمحاولة إحياء قلبه وعقله وروحه دوماً عن طريق العبادة والتأمل .. والاستقامة فى كل مظاهر الحياة الدنيوية .. وذلك كمنهج وسلوك للحياة يجعل قلبه دوماً فى حالة صافية مطهرة تتقبل نفحات الخير والجمال الموجهة إليه من عالم الحق والتى يستفيد منها بقدره .. هذا القدر الذى يزداد يوما بعد يوم .. بالتدريب، وبالمجاهدة ، والمثابرة، التى يقويها فيه وضوح الهدف.

فالصوفية والروحية كما أدركها السيد رافع (وهو رائد صوفى) .. فى جوهرهما تلقيان الضوء على الهدف من الحياة لتجعله دائما للإنسان براقاً .. مضيئاً .. واضحاً .. حياً.

وليست الروحية دينا جديداً، وليس هناك ما يدعو لإطلاق عبارة «معتنقى الروحية» على الذين يريدون تنمية ثقافتهم الروحية، لأن هذا ليس ديناً جديداً، ولكنه بعث الحياة فى مبادئ الديانات التى أصبحت جثة هامدة لا حراك فيها. والدليل على ذلك انتشار معانى الظلام والشرك والأنانية والاستغلال والتدمير والاستعباد فى ربوع الأرض.

الرسالات السماوية قد أوضحت أن الحياة إذا سارت وفقاً للأهداف الروحية فإن العالم، سيتخلص من مظاهر البؤس والشقاء التى تنتابه، ومن الكآبة والأنانية والتسلط التى ألمت به لفترات كثيرة. حب لجارك ما تحب لنفسك، قدم الخدمة لمن هو فى حاجة إليها، ساعد المحتاج والمهموم والحزين والمريض. إذا تدرب الإنسان على أن يقدم هذه المعانى على مستوى الفرد، وعلى مستوى المجتمع، وعلى مستوى الدول، فإنه يستطيع أن يغير وجه المادية العمياء لهذه الأرض، ويبعد عنها شبح الحرب والتعصب.

وجاء فى كتاب «العلاج الروحى بين العلم والتطبيق» للدكتور محمد صادق العدوى: «إن الدين ليس مذهباً أو تعاليم موروثة بالكهان، ورجال الدين. إن الدين ببساطة هو السلوك الذى يجعلك أقرب ما يمكن من الله، فى صلتك وتعاملك بمن حولك، لأنك بهذا السلوك تعبر بوضوح عما فيك من سر الحياة، ويمكنك أن

تجعل الدين ظاهرا متجليا فيك وبك حينما يكون الحب والرحمة والخدمة هى صبغة سلوكك فى الحياة».

الدين هو ما تستطيع به أن تحرز صلة أكبر بالله الذى أنت روح منه. الدين هو ما يساعدك أن تذكر الله فى عملك ومعيشتك، وتحس به. إن الله يتجلى فى كل عمل من أعمال الخدمة التى تقوم بها فى حبك للغير، وفى عطفك، وفى إصلاح نفسك، فسواء كنت رجلا أو امرأة، فلا تتوان فى مساعدة الآخرين، حاول أن ترفع من تجده فى الهاوية، وأن تزيح الظلم والجور ما استطعت، وهذا هو جوهر الدين وحقيقته».

وجاء فى كتاب «الحياة فى عالم الروح» للدكتور محمد صادق العدوى: «إنكم حينما تقومون فى وجودكم على الأرض بمعانى الوصف لأخلاق الله، بالحب والتسامح والرحمة والشفقة والإحسان وحب المرء لإخوانه فى الإنسانية، فإنكم فى هذه الحالات فى صلة بالله، لأن الله هو جماع هذه المعانى، فيكون كائناً وقيوماً بمعنى الحياة وظاهراً بها من خلالكم».

إن لله فى هذه الأيام قنوات كثيرة وطرقاً عدة معبدة من عباد مخلصين، وله أيضاً أعوان من كائنات علوية هدفها الأسمى هو تجلى الإرادة الآلهية، ولهذا فإن الكلام مع الله وهو الروح اللانهائى هو كلام روح لروح، فهو صلة روح بروح، وهذا ممكن وواجب الحدوث فى كل لحظة وفى كل حين، سواء عن طريق التأمل والتفكر، أو كان ذلك عن طريق اللسان بالصلاة كبداية، أو كان ذلك عن طريق معاملة الآخرين فى الحياة اليومية على أنهم كائنات من الله.

القوة الموجودة وراءكم هى قوة آلهية فى غايتها، تحاول فقط أن تهبكم كنوز الروح وثمارها. الحب هو المحرك لكل ما نريد أن نعمله.

املأ قلبك بالحب، وعقلك بالمعرفة، وروحك بالعزم والنية الصادقة لخدمة الآخرين، حينئذ فإن المشيئة الآلهية سوف تتجلى وتظهر من خلالك وسوف تتجلى فيك أيضاً معانى الصلة بالله». ولكن كيف يمكن لنا أن نحقق القوة الروحية فى حياتنا، وكيف نستطيع أن نتقدم فى الطريق الروحى .. لن يكون ذلك إلا بالحب .. الحب الآلهى .. ومفتاحه ذكر الله الذى يمنحنا السلام.

«طريق الذكر ينمى الحب الآلهى فى المريد. ومن خلال هذا الحب ينال السلام. وعندما يحوز المريد على سلام العقل يحصل على باقى المزايا تلقائياً. فالحب الآلهى يفوق كثيراً القوى الخارقة لليوجا».

عندما يصيبك الاكتئاب عند فقدك لشىء أو لكارثة أشغل نفسك بالذكر. فذلك يمنحك الصلابة والشجاعة، إن اسم الله له قيمة كبرى وهو الوسيلة التى تضفى عليك بركته وتحقق لك الإحساس بوجوده. وهو الذى عندما تذكره من أعماق قلبك يجعل إقامتك فى بيت بدلا من جب مظلم.

وقد ذكر الصوفى الكبير ساي بابا شردى (١٩٨٧-١٩١٨) لأتباعه: إنه خلال رحلة المريد فى طريقه الروحى وتركيز مشاعره على الله بحب وإخلاص يحظى تلقائياً بقوى روحية تمكنه من قراءة عقول الآخرين وتمنحه الجلاء البصرى. كذلك عندما تنمحى

ذات الإنسان الصوفى وتندمج فى الذات العليا الآلهية تتجلى فى هذا الإنسان كل القوى وكل المعارف والحكم والتى يطلق عليها نفحات ربانية.

لا علاج لجفاف القلب إلا أن نتحول من البحث عن احتياجاتنا فى عالمنا الخارجى إلى البحث عن احتياجاتنا فى عالمنا الداخلى .. ففيها المصدر الهائل لطاقة الحب .. الذى يستطيع أن يحقق احتياجاتنا الحقيقية .. جميع الرسل والأنبياء خلال كل العصور قد شبهوا جوهر الإنسان بالشرارة الآلهية .. بالنور أو الحب .. والرمز الذى كثيراً ما استخدم فى ذلك هو مصباح النور.

قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١].

مترجم الكتاب

الدكتور/ عبد الفتاح محسن بدوى

---

(١) سورة النور – الآية ٣٥.

المـراجـع

أولاً : المراجع العربية :

د.عبد الفتاح محسن بـدوى: «ساى بابا ومعجزات الحب الآلهى»، الأهرام، ١٩٩٨.

د.عبد الفتاح محسن بدوى: «سلام النفس». أصيلة للتصميم والنشر، ٢٠٠٣.

د.عبد الفتاح محسن بدوى: «اذكروا الله كثيرا»، أصيلة للتصميم والنشر، ٢٠٠٥.

د.عبد الفتاح محسن بدوى: «اذكروا الله كثيرا»، المؤلف، ٢٠٠٦.

د.عبد الفتاح محسن بدوى: «فتوحات الذكر بالتسبيح»، المؤلف، ٢٠٠٧.

د.عبد الفتاح محسن بدوى: « الفتوحات الروحية، المؤلف، ٢٠٠٨.

د.عبد الفتاح محسن بـدوى: «الإبـداع الفلسفى الروحى»، منشأة المعارف، ٢٠٠٨.

د. زكريا إبراهيم: «مشكلة الحب»، مكتب مصر، ١٩٧٠.

القديس مقاريوس الكبير: «عظات القديس مقاريوس الكبير»، مؤسسة القديس أنطونيوس، ٢٠٠٤.

سونداري: «الروحانية فى خدمة الحياة»، ترجمة توفيق مجلى، ١٩٧٩.

د. السيد نصار: «الصحة الروحية»، منشأة المعارف، ٢٠٠٩.

د. على عبد الجليل رضى: «اعرف روحك»، مكتبة النهضة، ١٩٨٤.

عبد الرازق نوفل: «من أسرار الروح»، كتاب اليوم لمؤسسة أخبار اليوم، ١٩٧٧.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

Bharadwaja, E. "Sai Baba the Master". 4th ed. Ongole, A.P.: Sree Guru Paduka Publications, 1993.

Bharucha, Perin S. "Sai Baba of Shirdi". 3rd ed. Shirdi: Shri Sai Baba Sansthan, 1988.

Bhishma, K.J. "Shri Sadguru Sainath Sagunopasana". Trans. from the Marathi by Zarin Traporevala. Bombay: Sai Dhun Enterprises, 1990.

Dabholkar, G.E. "Sri Sai Saccarita" [Marathi]. Shirdi: Shri Sai Baba Sansthan, 1929.

Das Ganu. "Shri Sainath–StavanManjari". (A Humble Tribute of Praise to Shri Sainath). Trans. from the Marathi by Zarine Taraporevala and ed. by Indira Kher. Shirdi: Shri Sai Baba Sansthan, 1987; also the Blossom of Praise to Shri Sainath. English translation in verse of Shri Sainath Stavan Manjari of Das Maharaj originally in Marathi Ovimetre. Trans. D.Y. Biniwale. ed M.B. Nimbalkar.

Rajahmundry. "Oum Sri Sai Ram Adhyatmika Caitanya Kendram", Guntur, 1988.

______ "Arvachin Bhakta", Adhyaya 31–33, Va Sant Leelamrit, Adhyaya 57 [Marathi]. 8th ed. Shirdi: Shri Sai Baba Sansthan, 1965.

Gunaji, Nagesh Vasudev. "Shri Sai Satcharita or the Wonderful Life and Teachings of Shri Sai Baba": Adapted from the Original Marathi Book by Hemadpant [G.R. Dabholkar].

13th ed. Bombay: Shri Sai Baba Santhan, 1987.

Irani, D.N. ed. "Sai Baba: The Perfect Master". Pune: Meher Era Publications, 1986.

Kamath, M.V. and V.B. Kher.: "Sai Baba of Shirdi": A Unique Saint. Bombay: Jaico Publishing House, 1991.

Khaparde, G.S. "Shirdi Dairy of the Hon'ble G.S. Khaparde". Shirdi: Shri Sai Baba Sansthan, n.d.

Kher, V.B.: "The Search of the Birthplace of Shri Sai Baba". Shri Sai Leela January 1976.

______ "Sai Baba and Sufis". Shri Sai Leela, March 1990.

______ "The Fakir Whom Sai Baba Instructed for Twelve Years". Shri Sai Leela January 1990.

______ "The Guru of Shri Sai Baba I & II". Shri Sai Leela April & May 1976.

______ "The Miracle of the Mare, I & II". Shri Sai Leela March & April 1985.

______ "The Significance of Shri Sai Baba's Various Actions, I & II". Shri Sai Leela, Oct. & Nov., 1985.

Mehta, Rao Saheb Harshad. P. "The Spiritual Symphony of Shree Sainath of Shirdi". Bombay: 1952.

Munsiff, Abdul Ghani. "Hazrat Sai Baba of Shirdi". Meher Baba Journal (Ahmednagar) 1 (1938–39), pp. 46–56.

Murthy, S.: "Gopala Krishna". Understanding Shirdi Sai. Hyderabad: Sri Shirdi Sai Prema Mandiramu, 1977.

Narasimhaswami, B.V. "Life of Sai Baba". 4 vols. Madras: All India Sai Samaj (Regd.), 1955–56.

______ "Sri Sai Baba's Charters and Sayings". 6th ed. rpt; Madras: All India Sai Samaj (Regd.), 1986.

______ "Devotees' Experiences of Shri Sai Baba". 3pts. Madras: All India Sai Samaj (Regd.), 1942; later published as

H.H. Narasimhaswamiji. Devotees' Experiences of Sri Sai Baba. Parts I, II & III. Hyderabed: Akhanda Sainama Sapthaha Samithi, 1989.

______ "The Wondrous saint Sai Baba". 7th ed. Madras: All India Sai Samaj (Regd.), 1979.

______ "Sai's Help". Madras: All India Sai Samaj (Regd.), 1965.

______ "Introduction to Sri Sai Baba of Shirdi". Madras: All India Sai Samaj (Regd.), 1938.

______ "Significance of Baba's Mahasamadhi". Madras: All India Sai Samaj (Regd.), 1965.

Nimbalkar, Lt. Col. "Sri Sai Baba's Philosophy". Trans. A.B. Kamble. Shri Sai Leela.

Osborne, Arthur. "The Incredible Sai Baba": The Life and Miracles of a Modern–day Saint. 1957. Calcutta: Orient Longmans (Private) Limited. 1958. London: Rider and Co. Hyderabad: Orient Longman, 1973.

Pradhan, M.V. "Shri Sai Baba of Shirdi". (A Glimpse of Indian Spirituality). Shirdi: Sri Sai Baba Sansthan, 1988. Ramalingaswamy. Ambrosia in Shirdi: A Book Never Before. Shairdi: Ramlingaswamy, 1984.

Rigopoulos, Antonio. "The Life and Teachings of Sai Baba of Shirdi". Albany: State University of New York Press, 1993.

Ruhela, Satya Pal. "What Researchers Say on Sri Shirdi Sai Baba". Faridabad: Sai Age Publications, 1994.

Sai Sharan Anand. "Shri Sai the Superman". Bombay: Shirdi Sansthan Publication, 1962.

Sakukar, Mani. "Sai Baba: The Saint of Shirdi". 2nd ed. Bombay: Somaiya Publications, Pvt. Ltd., 1971.

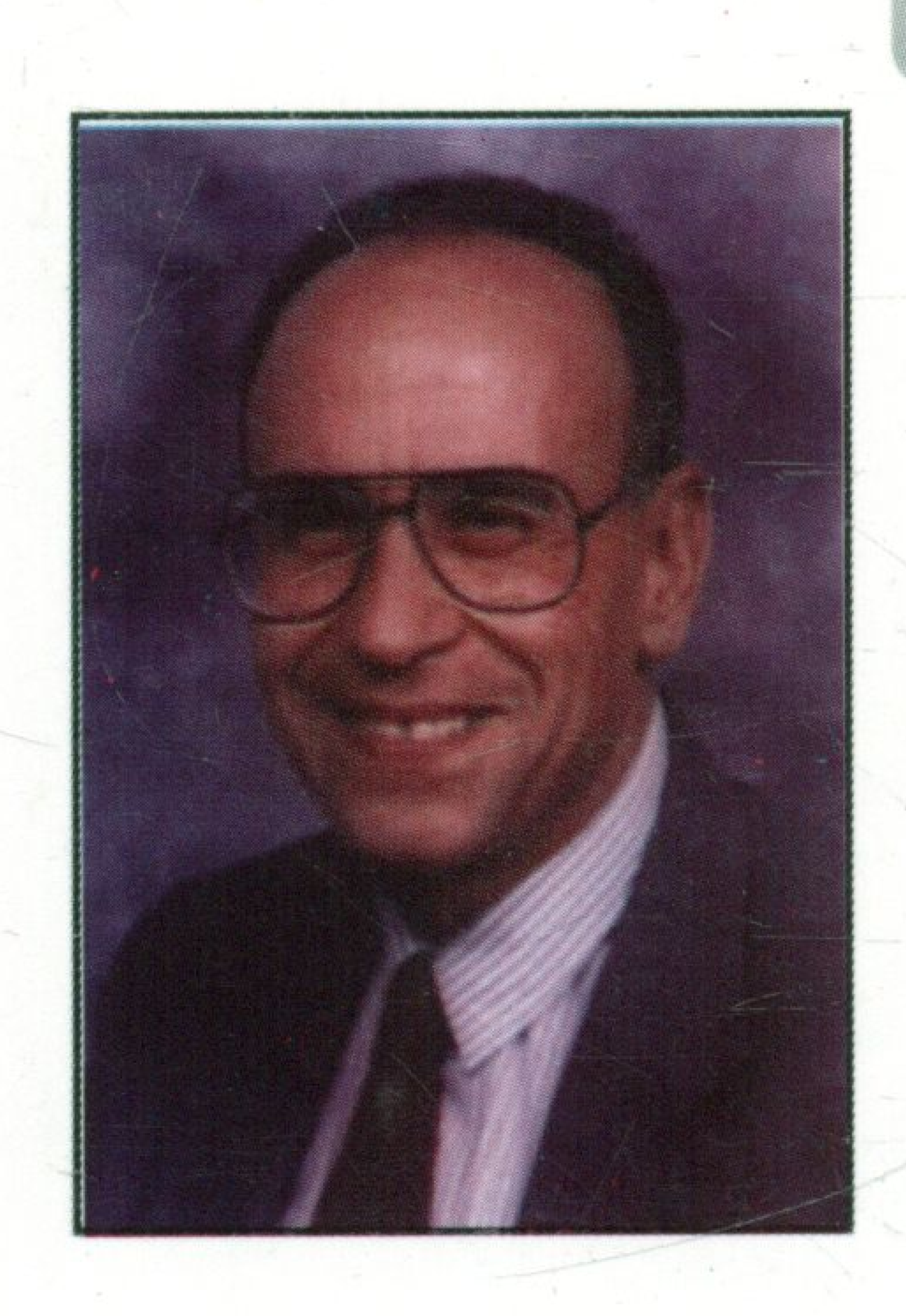
Sham Rao, D.P. "Five Contemporary Gurus in the Shirdi (Sai

Baba) Tradition". Bangalore: The Christian Literature Society, 1972.

Shepherd, Kevin R.D. "Gurus Rediscovered: Biographies of Sai Baba of Shirdi and Upasani Maharaj of Sakori". Cambridge: Anthropographia Publications, 1985.

Sholapurkar, G.R. "Footprints at Shirdi and Puttaparthi". Delhi: Bharatiya Vidya Prakashan, 1985.

المؤلف فى سطور



- بكالوريوس العلوم من كلية العلوم بجامعة القاهرة.
- ماجستير العلوم العسكرية (تخصص حرب كيمائية) وأركان حرب من أكاديمية فستريل بالاتحاد السوفيتى.
- ماجستير الكيمياء العضوية التطبيقية من كلية العلوم بجامعة القاهرة.
- دكتوراه العلوم فى الكيمياء من جامعة تورنتو بكندا.
- ضابطا كيمائيا بقيادة القوات الجوية ثم رئيسا للبحوث الفنية بإدارة الحرب الكيمائية.
- عمل أستاذاً بمركز العلوم والرياضيات بالمملكة العربية السعودية.
- أستاذاً باحثا غير متفرغ بمعهد بحوث البترول.
- أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه فى الجامعات المصرية والعربية.
- نشر العديد من البحوث الكيمائية فى المجلات والدوريات العالمية.
- مثل جمهورية مصر العربية فى العديد من المؤتمرات الدولية، عن الوقاية من الأسلحة الكيمائية والبيولوجية.
- مثل جمهورية مصر العربية فى البرنامج الدولى للتحقق من نزع الأسلحة الكيمائية بجامعة هلسنكى ووزارة الخارجية الفنلندية.
- عمل رئيساً للجنة الفنية لاتفاقية الأسلحة الكيمائية بوزارة الخارجية المصرية.
- **نشر عدة كتب فى السلام والحب أهمها**
  - الكيمياء الصوفية للسلام (باللغة الإنجليزية) : كشمير – الهند.
  - رحلة إلى سلام النفس (باللغة الإنجليزية) : يوتابارتى – الهند.
  - سلام النفس: أصيلة للنشر – القاهرة.
  - السلام الشامل أو الدمار الشامل: الصلاح للدراسات الاستراتيجية – القاهرة.
  - الإبداع الفلسفى الروحى– منشأة المعارف – الإسكندرية، 2008.
  - نور الحب – منشأة المعارف، الإسكندرية، 2010.
- **حصل على جائزة السلام الدولية لعام 2006 من الاتحاد الثقاف... المتحدة الأمريكية وذلك لانجازاته البارزة فى السلام نحو المجتمع ...**

